التبيان

مجلة علمية محكمة – نصف سنوية– تصدر عن قسم الدراسات الإسلامية
بكلية الآداب جامعة طرابلس

14

السنة (14)
العدد (14)
سبتمبر 2022م

محفوظة جميع الحقوق

لقسم الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب

جامعة طرابلس ليبيا

رقم الإيداع 304 – 2014

توجه كافة المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير على البريد الإلكتروني الآتي :

Journal.altibyan@gmail.com

ضوابط النشر

ترحب المجلة بإسهامات الأساتذة والمفكّرين والكُتاب الذين يسعون لنشر العلم والمعرفة بين أبناء الأمة الإسلامية ، تلك المعرفة التي تؤسس عقيدة ، وتصحح مفهومًا ، وتنشر فكرًا إسلاميًا ، بعيدّة عن التعصّب والغلوّ في الدين . ويشترط لقبول البحوث والمقالات :

- أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعية ، وأن يتبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي ، من تسلسل منطقي في العرض ، وتوثيق للمصادر والمراجع .
- مراعاة القواعد النحوية والإملائية في الكتابة.
- ألا يكون البحث المراد نشره في مطبوعة أخرى .
- أن يكون البحث مطبوعًا ، بحيث يكون حجم الخط (16) ، ويسحب منه نسختين على الورق ، والثالثة على قرص مضغوط (CD) .
- ألا يقل عدد ورقات البحث عن (15) ولا يزيد عن (25).

أهداف المجلـــــــــة :

- نشر الثقافة الإسلامية والعربية وتنمية المدارك .
- طرح القضايا والإشكالات الدينية المعاصرة ومعالجتها وفق أسلوب علميّ رصين.
- الاهتمام بالتراث الإسلامي.
- نشر الدراسات العربية المتخصصة في مجال اللغة والأدب العربي .
- تجديد الوعي الإسلامي ، وتنمية الروح الديني النزَّيه.
- تشجيع الأستاذ الجامعي ، وتحفيزه على الإسهام في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة ، من خلال الأبحاث والإسهامات الكتابية المتخصصة.

ملاحظـــات:

- تعرض الأعمال المقدمة للنشر على أساتذة متخصصين ، لتقييم صلاحيتها للنشر.
- البحوث المقبولة للنشر يُمنح صاحبها إفادة بذلك.
- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المُجازة.
- اللجنة المشرفة على المجلة غير ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر.
- الأبحاث والمقالات المنشورة تعبّر عن وجهة نظر صاحبها ، ويتحمل كافة تبعاتها القانونية والأدبية ، وهيئة التحرير ترحب بمناقشة هذه الآراء وإثرائها.

هيئة التحرير

أ. د. الهـــادي المبـــــروك سالـــــم	رئيسًا
أ.د. عبد الله محمـــــــد النقـــــراط	عضوًا
د. عبد الله علـــــــي شعبـــــــان	عضوًا
د. عبد الغني عبد اللطيف بن سعيدان	عضوًا
د. عبد المحسن سالـــــــم الكاتـــــب	عضوًا

الهيئة الاستشارية

أ.د.عبد الحميد عبد المنعم مذكور.... جامعة القاهرة

أ.د. حسين أحمد المنتصر .... جامعة طرابلـــس

أ.د. إبراهيـــم عبد الله سلطـــان .... جامعة المرقـب

أ.د. رمضان حسين الشاوش... جامعة طرابلـس

أ.د.علـــي سليمـــــان الزوبـــي .... جامعة طرابلس

أ.د. عثمان الطاهر حبلوص ... جامعة الزاويـة

أ.د. حسين علي عكاش جامعة مصراته

تنفيذ وإخراج

سامية جمعة أحمادي

قائمة المحتويات

- الافتتاحية ..... رئيس التحرير 9
- الوكالة في النّكاح ..... د. عبد الغني عبد اللطيف بن سعيدان 11
- الولاية في النكاح بين الأب ومواليته ..... د. محمد عثمان محمد 29
- الدَيْن وأثره في أفعال المكلفين ..... أ.أسعد الهمالي اللافي 49
- المجمل عند الأصوليين ..... د. بشير أحمد محمد 75
- دَلَالَةُ الْأَلْفَاظِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَنَوُّعُ مَقَاصِدِهَا
  لفظ الإثم أنموذجًا..... أ. عبدالله إمحمد علي جمعة 103
- تصريف لفظ الحديث
  في القرآن ومقاصده .....أ. محمد علي بن ناجي 137
- صور من بلاغة التَّكرار ودلالاته الاستدعائية في قصيدة (بَهْجَةِ المغرب) ،
  لمحمد مسعود جبران ..... د. مُحَمَّد عَلِي سَلِيم البَحْبَاح 175
- أثر المزاح في عدالة الراوي
  عند نقاد الحديث ..... د. خميس عبد الله نصر الناجح 197
- محمد بن أبي زمنين الأندلسي المالكي (ت: 399هـ) ومنهجه في كتابه:
  "تفسير القرآن العزيز" ..... د. الطَّاهر عبد الرزّاق مسلِّم 251
- قراءة في مخطوط جوهرة البدور لسيدي محمد بن الرايس البصير
  المتوفي عام (1263) هـ دراسة وتحقيق ....د. فضل الله فرج بالرمان 293
- مستجدّات الحج الفقهية
  " حج المرأة المعتدة" ..... د.عبد الخالق محمد عزالدين الغرياني 313

• في نقد تحقيق كتاب الفيض الوارد
لأبي الثناء الألوسي ..... د. خالد ميلاد العود 329

• ملامح منهج الكتابة الأصولية عند الأستاذ المُقرئ حسن بن عمر السناوني (ت. 1353هـ، 1934هـ) من خلال كتابه: «الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع» ..... د. إسماعيل المختار كريمة 365

• تدرج أحكام التشريع من الأخف إلى الأثقل
ومقاصده في القرآن ..... د. صالح محمد رجب امحيسن 389

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن تعلم العلم والعمل على نشره بين الناس بغية الإفادة والاستفادة أمر حببه الإسلام للعباد ورغب إليه، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على ذلك.

يقول الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿**وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة 122] وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرَج، ومَن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النار))؛ رواه البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: (من سُئل عن علمٍ يعلمهُ فكتمهُ ألْجِمَ يومَ القيامةِ بِلِجَامٍ من نارٍ) سنن الترمذي 2649.

فنشر العلم فضلا عن تعلمه يعد من فضائل الأعمال التي يصرف المسلم فيها وقته وجهده؛ ففيها سعادة المرء في الدارين، ولكن نشر العلم يتطلب أمرا بالغ الأهمية ألا وهو الأمانة والصدق فيما يبلغ، وحفظ حقوق الآخرين، فلا ينسب إلى نفسه ما توصل إليه غيره من حقائق علمية، وما سطروه من كتابات أو أبحاث تخصصية؛ فمن الأمانة العلمية أن يعزو الأقوال إلى أصحابها الأصليين، ومن ادعى مقالة أو نسب إلى

نفسه بحثا أو رأيا وهو لغيره فقد خان الأمانة وأهان نفسه، وأضر بالمجتمع العلمي والمؤسسة التي ينتمي إليها.

ومجلة التبيان، وهي تؤدي رسالتها العلمية المنوطة بها، تتمنى من الأساتذة الأفاضل أن يتحروا الصدق، وينهجوا النهج العلمي الصحيح في إعداد أبحاثهم وهم أهل لذلك بإذن الله.

د. الهادي المبروك سالم

رئيس هيئة التحرير

محمد بن أبي زمنين الأندلسي المالكي (ت: 399هـ)

ومنهجه في كتابه: "تفسير القرآن العزيز"

د. الطَّاهر عبد الرزّاق مسلِّم

قسم أصول الدين -كلية العلوم الشرعية

جامعة طرابلس

ملخص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى تعريفٍ بـحياة محمد بن أبي زمنين ومنهجه العلمي في تفسيره: (تفسير القرآن العزيز)، حيث يعد من أهم التفاسير المختصِـرَة لتفسير يحيـى بن سلام (ت: 200هـ)، الذي ضاع جلُّه، وتهتم الدراسة بعرض منهج ابن أبي زمنين من خلال استقراء التفسير بأكمله في أجزائه الأربعة، ومعرفة ضوابط التأليف عنده، وقد توصلت الدراسة بأن ابن أبي زمنين قد نوع تفسيره من تفسيرٍ بالمأثور، وإظهارٍ للمباحث اللغوية والأدبية، حيث تميز تفسيره بالتوسع في المباحث اللغوية، مع نقله عن بعض أهل اللغة، واستشهاده بالأبيات الشعرية، فضلاً عن آرائه اللغوية التي لا تكاد تخلو في جلِّ صفحات تفسيره، كما روى عن والده أحاديث متصلة الإسناد إلى يحيـى بن سلام، وقد امتاز التفسير بطابع الترقيق والحثّ على الزهد في الدنيا، مع اهتمام مؤلفه بالترجيح في مسائل التفسير، فلا يعرض آراء المفسرين المتباينة إلا نادراً، فكان بذلك من أهم تفاسير علماء المالكية في الأندلس التي لم تلق حظاً وافراً من الاهتمام والنشر والدراسة.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هادي له، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد؛ فإن من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين؛ أن جعل فيهم من يهتم بعلوم القرآن والسنة خير اهتمام، ويبذل الغالي والنفيس في سبيل تحصيل العلم الشرعي ونشره بين المسلمين، ليُعِمَّ الخيرَ على البلاد والعباد، ومن خير العلوم التي أنعم الله بها على عباده المسلمين؛ ما يتعلق بفهم كتابه الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾،[1] ولقد بدأ التفسير كفرعٍ من فروع الحديث النبوي، يُروى فيه عن النبي ﷺ ما يبيّن أحكامه، ويفسر عباراته، وكان اهتمام السلف الصالح ﷺ بدراسة كتاب الله ومعرفة أسراره؛ لا يتجاوز ما أُثر عن النبي ﷺ، اللّٰهُمَّ إلا ما ورد عن بعض الصحابة من روايات للإسرائيليات كابن عباس (ت: 68هـ)، ﷺ، حيث ظل التفسير محتفظاً بطابع التلقي والرواية، إلى أن جاء عصر التدوين الذي أصبح فيه التفسير علماً مستقلاً بذاته، شاملاً لآيات القرآن وسوره، فصارت المؤلفات في علم التفسير تترى مع مرور الزمن.

وقد برز أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين (ت: 399هـ)؛ من مدرسة الأثر المعتبرة للأسانيد على وجه الخصوص؛ ويعد علماً من علماء التفسير، والحديث، واللغة، في الأندلس، حتى قال في حقه ابن عفيف (410هـ): "كان من كبار المحدثين، والفقهاء الراسخين في العلم"،[2] وقد ألف مصنفات عديدة، منها تفسيره: "تفسير القرآن العزيز"، الذي اختصره من تفسير يحيى بن سلّام (ت: 200هـ)، وزاد عليه فوائد جليّة في القرآن والسنة وعلومهما، حيث يعقب الآيات ببيان الأحاديث والآثار التي

(1) سورة القمر، الآية: 17.

(2) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 184/7.

وردت في شرح الآية، متضمناً ذلك بعض الفوائد اللغوية والاستشهادات الشعرية، وغير ذلك من مباحث علوم القرآن والسنة النبوية الشريفة.

ولقد كان الدافع إلى هذا البحث؛ إظهار علم من أعلام التفسير المالكيين في القرن الرابع الهجري، وإشهار منهجه، لا سيما أن تفسيره لم ينل حظه من الدراسة الكافية، ولقد اتبعت في بحثي هذا: المنهج الوصفي التحليلي، مع إبداء المنهج النقلي لضرورته في بعض المباحث.

أما عن الدراسات السابقة في هذا الموضوع؛ فلم أرَ دراسةً على النحو الذي سنذكره في التقسيم، إنما وجدت بعض الدراسات الأكاديمية المطولة، كالماجستير، وهذه بعضها:

- **دراسة بعنوان**: ابن أبي زمنين ومنهجه في التفسير من خلال اختصاره لتفسير يحيى ابن سلّام، للباحثة: حنان عبد الله، رسالة ماجستير نوقشت سنة: (1430هـ- 2009م)، في جامعة الخرطوم.

- **دراسة بعنوان**: منهج الإمام محمد بن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز، للباحث: عبد الجواد الأسطل، رسالة ماجستير نوقشت سنة: (1427هـ- 2006م)، في الجامعة الإسلامية، غزة.

- دراسة بعنوان: الاختصار في التفسير - دراسة نظرية وتطبيقية على مختصري ابن أبي زمنين لتفسير يحيى بن سلام، والبغوي لتفسير الثعلبي، من إعداد الباحث: علي العمري، رسالة ماجستير نوقشت سنة: (1426هـ- 2005م)، في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وقد استفدت من هذه البحوث على وجه العموم، وهي بحوث تتحدث عن منهج ابن أبي زمنين بصفة عامة، لكن هذا البحث اختلف عنها في الآتي:

- لم تهتم الدراسات السابقة بجانب رواية ابن أبي زمنين للحديث الذي كان يرويه عن والده عن يحي بن سلام، ولم تذكر هذه الدراسات جوانب روايته إلا بشيء يسير، بينما امتاز هذا البحث بالتركيز

على هذا الجانب، وإبداء بعض التفصيل فيه.

- تَتَبَّعْتُ مواطن النقص في الدراسات السابقة، واجتهدتُ في الوصول إلى الترجمة لأعلام من شيوخ ابن أبي زمنين وتلاميذه لم تُذكر في الدراسات السابقة.

ولما لأهمية هذا التفسير عند علماء المغرب عموماً؛ وعند أهل المذهب المالكي خصوصاً؛ فقد رأيت دراسته وبيان منهجية المؤلف فيه، وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، ومطلبين، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع على هذا النحو:

المطلب الأول: ابن أبي زمنين؛ حياته وآثاره العلمية.

المطلب الثاني: منهج محمد بن أبي زمنين في تفسيره (تفسير القرآن العزيز).

الخاتمة: وفيها أهم ما توصلت إليه من استنتاج في هذا البحث.

المطلب الأول
التعريف بمؤلف الكتاب

الفرع الأول_ اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

هو محمد بن عبد الله[1] بن عيسى[2] بن محـــمد[3] بن إبراهيم[4] بن أبي زَمَنِينَ،[5] وقد اتفق المؤرخون على أنه ولد سنة: (324هـ) بإلبيرة، إلّا أنهم اختلفوا في

(1) هكذا أورده كلٌّ من: الحُميدي، محمد بن فتوح في جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص: 56، وابن خاقان في مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس؛ ص: 266, والضبي، في بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص: 87، برقم: 60.

(2) هكذا نسبه كلٌّ من: القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 183/7, وابن فرحون، في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 232/2.

(3) هكذا نسبه: الذهبي في سير أعلام النبلاء: 188/17, والصفدي في الوافي بالوفيات: 260/3.

(4) هذه أتم نسبة, أوردها ابن بشكوال، في الصلة في تاريخ أئمة الأندلس؛ ص: 458, وقد تفرد لسان الدين بن الخطيب بإيراده سلسلة نسبٍ خالف فيها بقية المصادر حيث قال: "محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي زمنين عدنان بن بشير بن كثير المرّي"، الإحاطة في أخبار غرناطة: 132/3.

(5) ابن أبي زَمَنِينَ: -بفتح الزاي المعجمة والميم وكسر النون، ثم ياء ساكنة بعدها نون،- ضبطها بهذا الشكل كلٌّ من: الذهبي في سير أعلام النبلاء: 189/17، والصفدي، في الوافي بالوفيات: 260/3، وابن فرحون، في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 233/2، والداودي، في طبقات المفسرين: 165/2، وقال أبو عمرو المقرئ: "وسئل -أي ابن أبي زَمَنِين- لِمَ قيل لكم: بنو أبي زمنين؟ فقال: لاأدري، كنت أهَابُ أبـي؛ فلم أسأله عن ذلك!"، ذكره ابن بشكوال، في الصلة في تاريخ أئمة الأندلس؛ ص: 405/2، ونقل هذا الجواب عن ابن بشكوال: السيوطي في طبقات المفسرين العشرين؛ ص: 104، والداودي في طبقات المفسرين: 166/2.

تحديد الشهر الذي ولد فيه، فذهب القاضي عياض[1] وأبو عمر بن الحذاء؛[2] إلى أنه ولد في شهر ذي الحجة، سنة: (324هـ)، وذهب أبو عمرو المقرئ، ولسان الدين بن الخطيب؛[3] إلى أنه ولد في شهر المحرم، وهو الراجح، إذ إن أبا عمرو المقرئ؛ صرَّحَ بسماعه من ابن أبي زَمَنِينَ؛ حيث قال: "سَـمِعْتُه يقول: ولدت في المحرم، سنة: أربعٌ وعشـرون وثلاث مئة".[4]

الفرع الثاني_ طلبه للعلم ورحلاته العلمية:

إن الناظر في مؤلفات ابن أبي زمنين بعين بصيرة ناقدة؛ يجد أن له معيناً من العلم الوفير، والاستنباط الرشيد السديد، في العقيدة، والتفسير، والفقه، واللغة، من ذلك نجده قد نصب نفسه لخدمة الفقه المالكي، وتنقيحه بمزيد ضبط، وتجديد التلخيص والتهذيب، من أجل ائتلاف المتفرق من الأسمعة، وجمع ما تشتت من الأقوال، لقد عقد ابن أبي زمنين صلته الفكرية منذ نشأته الأولى؛ بمنابع الثقافة الفقهية، وارتوى من عذب منابعها، فقد ابتدأ طلبه للعلم منذ نعومة أظفاره بين والديه، فهو من بيت علم، وورع، وصلاح، وقد كان والده عبد الله بن أبي زمنين من العلماء المحدّثين، حيث قام برعاية ولده حق الرعاية، فأنشأه على العلم وبالعلم، وحفظ القرآن في سن مبكرة في كتاتيب إلبيرة، حتى اشتد ساعدُه فكبرت همته مع كبر نَـهَمِهِ لطلب العلم، وتَحَمَّلَ عن والده طرق الرواية، وأخذ عنه الحديث والتفسير، ثم رحل إلى بَـجَّانة وسمع من أبي عثمان سعيد بن فحلون؛[5] مختصـر ابن الحكم،[6] كما درس عليه بعض الأحاديث، ثم رحل إلى قرطبـــة،[7] فسمع محمد بن

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 186/7.
(2) كما نقل عنه ابن بشكوال في الصلة في تاريخ أئمة الأندلس؛ ص: 459.
(3) الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب: 133/3.
(4) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص: 458، وقال الذهبي سير أعلام النبلاء: 189/17، برقم: 109: "وُلِدَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ".

(5) تُنظر ترجمته ضمن الجزئية الخامسة: "شيوخه" في هذا البحث.
(6) تنظر ترجمته عند الحديث عن شيوخه، ضمن الترجمة رقم: (4).
(7) كانت رحلته هذه لطلب العلم وسماع الرواية، عاد بعدها إلى موطنه إلبيرة، ثم رحل مرة ثانية إلى قرطبة للوعظ والتدريس، قال ابن مفرج: "قدم -ابن أبي زمنين- قرطبة؛ فسمع منه بها الناس، سنة: (378هـ)"، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 184/7، والدليل على رحلته الأولى: تنصيص كل من القاضي عياض، وابن بشكوال؛ على أنه تفقه بقرطبة على

معاوية،[1] وإسحاق بن إبراهيم،[2] وغيرهما.

وبهذه العوامل المختلفة السابقة؛ تكونت لهذا العالم الملكة الناقدة، والبصيرة الثاقبة، التي استمدها من بحور علوم القرآن ،والسنة، واللغة، فكان سائراً على منهج السلف الأوائل، مستيقناً بعلمه أنهم أصحاب الكمائل والفضائل، التي يجب على كل مسلم أن يجعل اقتداءه بهم أول المناهل، فكان مفسراً مقتفياً لآثار القرون المفضلة، فقيهاً ناقداً للمتكلمين،[3] شاعراً مجيداً، وكاتباً بليغاً، وأصبح عالم إلبيرة، وبلاد الأندلس أواخر القرن الرابع الهجري -عليه من الله شآبيب الرحمات-.

الفرع الثالث_ شيوخه

إن طلب العلم عند أُولِي الفضل من العلماء؛ له أثرٌ كبير، ووقعٌ عِلمِيٌّ جسيمٌ، فالمشايخ والعلماء هم النبراس الذي يوجه طلاب العلم خاصة، والمسلمين عامة للطريق السوي؛ إذ العلم بحرٌ واسع، من غاص فيه واعترى لجه من غير قدوة يعلمه، ولا مرشد يوصله؛ فقد يغرق في شبهات الأمواج التي تلطم خِضَمَّهُ في كل مكان، فيضيع في أدنى شبهة يسوقها له شياطين الإنس والجن، لذلك فالعلماء هم أولى الناس بخشية الله -تعالى،- لأنهم أعلم بشـرعه، وأقدر على استنباط أحكامه؛ حتى قال الله العليم الخبير في حقِّهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾،[4] وقد كان لابن أبي زمنين كثيرٌ من المشايخ وأهل الفضل الذين أخذ منهم معين العلم، ففي الحديث وعلومه؛ أخذ عن المعمرين من أهل الإسناد العالي يستمليهم ويستكتبهم، فأولهم؛ والده عبد الله بن أبي زمنين،[5] فهو شيخه الأول الذي أخذ عنه منذ الصغر جل رواياته، وكان والده

إسحاق بن إبراهيم، المتوفي سنة: (352هـ)، وكذلك سماعه بقرطبة من محمد بن معاوية، المتوفي سنة: (358هـ).

(1) تُنظر ترجمته في الفرع الثالث: "شيوخه" في هذا البحث.

(2) كسابقه.

(3) قال ابن أبي زمنين في أصول السنة؛ ص: 142: "ولولا أن أكابر العلماء يكرهون أن يُسَطَّر شيءٌ من كلامهم -أي كلام المبتدعة- ويُخَلَّدُ في كتاب؛ لأنبأتك من زيغهم وضلالهم بما يزيدك رغبة في الفِرَار عَنْهُم"، وهذا يدل على خبرته بشبهات أهل الأهواء، وعلمه بأصول المتكلمين، ومعرفته بما يسوقونه من نصوص، واستطاعته تفنيد ما يدعون، ينظر: أصول السنة لابن أبي زمنين، ص: 293، باب النَّهْيِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ.

(4) سورة فاطر، من الآية: 28.

(5) تُنظر ترجمته ضمن الجزئية الخامسة: "شيوخه" في هذا البحث.

يروي عن يحيى بن سلام، وابن فحلون، ومن مشايخه الذين أكثر عنهم؛ سعيد بن فحلون، روى عنه في أصول السنة، ولا غَرو إذا كثر شيوخه، فإنه عاش ردحاً من الزمن في قرطبة، عاصمة الخلافة، ومحط أنظار أهل المغرب الإسلامي، وملتقى أهل العلم والمعرفة، إليها يفد الطلاب، وبها يستقر العلماء، ومن أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم مختلف العلوم -وقدمت أولهم وفاةً- على الآتي:

1- أبو الحسن، علي بن الحسن المري، أصله من بَجَّانة، وتوفي فيها سنة: (335هـ).[1]

2- أبو عمر، أحمد بن يحيى بن زكريا، يعرف بابن الشامة، من أهل قرطبة، توفي سنة: (343هـ).[2]

3- أبو عمر، أحمد بن عبد الله بن القطان، من أهل قرطبة، ويعرف بابن العطار، توفي سنة: (345هـ).[3]

4- أبو محمد، وقيل: أبو القاسم؛ أبان بن عيسى الغافقي، من أهل قرطبة، وأصله من طليطلة، توفي سنة: (346).[4]

5- أبو عثمان، سعيد بن فَحْلُون، أصله من إلبيرة وسكن بَجَّانة، توفي سنة: (346هـ)، وله أربعٌ وتسعون سنة.[5]

6- أبو الحزم، وهب بن مسرة بن مفرج التميم الأندلس الحجاري، توفي سنة: (346هـ)، وقيل غير ذلك.[6]

7- أبو عمر، أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي، من أهل قرطبة، توفي بالأندلس، سنة: (350هـ).[1]

(1) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي: 357/1، برقم: 921، وترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 108/6.

(2) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي: 50/1، برقم: 119، وترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض: 124/6، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحُميدي، ص:149، برقم: 257.

(3) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي: 48/1، برقم: 160، وترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 438/4.

(4) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي: 22/1، برقم: 53، وترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 148/6.

(5) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحميدي، ص:215، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي، ص: 311، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 51/16، وشجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف: 89/1، برقم: 194، وشذرات الذهب، لابن العماد: 244/4، وتحرفت "فحلون" في الكتاب إلى "مخلوق"، والصواب ما أثبتناه هنا وهو موافق لما جاء في مصادر الترجمة المختلفة.

(6) ينظر: تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي: 165/2، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحُميدي، ص: 338، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي، ص: 465.

8- أبو إبراهيم، إسحاق بن إبراهيم بن مسرة، من أهل قرطبة، وأصله من طليطلة، وتوفي فيها، سنة: (352هـ) وهو في غزوٍ مع المستنصر بالله.[2]

9- أبو عمر، أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن الأزدي، يعرف بابن المشاط، وُلّي الصلاة بقرطبة إلى أن توفي سنة: (353هـ)، وقيل: (354هـ)، وقيل: (356هـ).[3]

10- أبو بكر، محمد بن معاوية بن عبد الرحمن الأموي المرواني، من أهل قرطبة، ويعرف بابن الأحمر، توفي سنة: (358هـ)، وقد قارب التسعين.[4]

11- والده؛ أبو محمد، عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري، (ت: 359هـ).[5]

12- أبو غالب، تمام بن عبد الله بن تمام بن غالب المعافري، من أهل طليطلة، قال ابن الفرضي: "روى عنه ابن أبي زمنين وغيره بقرطبة، وكان الحكم قد جلبه إلى قرطبة فقامت له بها سوق"، توفي سنة: (377هـ).[6]

13- أبو جعفر، أحمد بن عون الله، فقيه مشهور، لم أظفر بتاريخ وفاته.[7]

الفرع الرابع_ تلاميذه

لقد بلغ ابن أبي زمنين المراتب العليا من العلم، والتفقه، والاستنباط ،والحفظ، فكان عالماً راسخاً، اجتمعت عنده نفائس الآثار، وله مكانته العلمية في بلاد الأندلس، فلقي قبولاً لدى عوام الناس فضلاً عن طلبة العلم، ولعل من أبرز تلاميذه الذي ذاع صيته واشتهر في أصقاع الأرض؛

(1) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي: 43/1، برقم: 142، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحُميدي، ص:125، برقم: 214.

(2) ينظر: تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي: 72/1، برقم: 235، وترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 128/6.

(3) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي: 44/1، برقم: 143، وترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 134/6، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي، ص: 207، برقم: 467.

(4) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي: 70/2، برقم: 1289، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 68/16، برقم: 49، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، ص: 304/2، وشذرات الذهب، لابن العماد: 27/3.

(5) وهو ممن سُكِت عن حاله، فلا يعرف فيه جرح ولا تعديل.

(6) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي: 98/1، برقم: 305، وترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 32/7.

(7) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي: 198/1، برقم: 452.

الحافظ؛ أبو عمرو الداني المقرئ المشهور، وأحد أئمة علوم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه، كما كانت له معرفة بعلوم الحديث، وقد روى عن ابن أبي زمنين جل مؤلفاته ومروياته، وهكذا كان لابن أبي زمنين الكثير من الطلاب الذين يستقون من فيض معينه العلمي الخصب، فهو ملم بعلوم التفسير ومرويات الحديث، فضلاً عن أنه لغوي وبلاغي بامتياز، وبهذا؛ فلا غرابة من إقبال طلبة العلم عليه من كل مكان، وقد روى عنه أقرانه دون أن يجدوا في صدورهم حرجاً من الرواية عمن هو في طبقتهم، مما يدل على تواضع هذا العالم وأنه لا يستكبر ولا يتعالى بعلمه على أقرانه، ومما زاد من تزكية سمعته العلمية الذائعة، اشتهاره بالزهد والورع مع العقل الراجح، والأدب البارع، ولعلي أترجم هنا لأهم التلاميذ الذين أخذوا عنه مختلف العلوم، مقدمين أولهم وفاةً في الآتي:

1- أبو المطرِّف، عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد، من أهل مَـجْرِيط،[1] توفي سنة: (407هـ).[2]

2- أبو عمر، أحمد بن عفيف بن عبد الله الأموي، من أهل قرطبة، توفي سنة: (420هـ).[3]

3- أبو الوليد، هشام بن محمد بن سليمان القيسي السائح، من أهل طليلطة، توفي سنة: (420هـ).[4]

4- أبو المطرِّف، عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن بشر، من أهل قرطبة، توفي سنة: (422هـ).[5]

5- أبو عثمان، سعيد بن يحيى بن سلمة التنوخي، الإمام بالمسجد الجامع بإشبيلية، توفي سنة: (426هـ)، وعمره نحو السبعين.[6]

(1) مَـجْرِيط: مدينة بالأندلس، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، وتسمى الآن: " مدريد - "MADRID" عاصمة الدولة الإسبانية، ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، ص: 523.
(2) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص: 302.
(3) المصدر نفسه، ص: 59.
(4) المصدر نفسه، ص: 614.
(5) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض، ص: 11/8.
(6) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص: 214.

6- أبو الوليد، يونس بن عبد الله بن مغيث، من أهل قرطبة، ويعرف بابن الصفّار، توفي سنة: (429هـ).[1]

7- أبو العباس، أحمد بن أيوب بن أبي الربع، الإلبيري الواعظ، من أهل إلبيرة، وسكن قرطبة، توفي سنة: (432هـ).[2]

8- عبد الله بن سعيد بن أبي عوف العاملي الرباحي، قدم طليطلة واستوطنها، توفي سنة: (432هـ).[3]

9- أبو عبد الله الفقيه، محمد بن عبد الرحمن بن عوف، لقي أبا عبد الله بن أبي زمنين وسمع منه، وكان في الفقه إماماً، وقد كُفَّ بصره، توفي سنة: (434هـ).[4]

10- أبو علي، حسين بن محمد بن غسان، من أهل إلبيرة، توفي سنة: (435هـ).[5]

11- أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن القيسي، المعروف بابن الْـجَيّار، من أهل قرطبة، توفي سنة: (436هـ).[6]

12- أبو المطرِّف، عبد الرحمن بن سعيد بن جرج، أصله من إلبيرة وسكن قرطبة، توفي سنة: (439هـ).[7]

13- أبو زكريا، يحيى بن محمد بن حسين الغساني، من أهل غرناطة، ويعرف بالقليعي، روى عن ابن أبي زمنين جميع ما عنده، قال ابن بشكوال: "أجاز لشيخنا أبي محمد بن عتاب مع أبي ما رواه عن ابن أبي زمنين خاصة، وأراني خطه بالإجازة

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 15/8، وشجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف: 307/1، برقم: 113، و 394/1، برقم: 133.
(2) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص: 53.
(3) المصدر نفسه، ص: 260.
(4) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحُمَيدي، ص: 67، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي، ص: 101، برقم: 190.
(5) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص: 140.
(6) المصدر نفسه، ص: 263.
(7) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي، ص: 364، برقم: 1018.

تاريخها محرم سنة: (438هـ)"، توفي سنة: (442هـ).[1]

14- أبو سعيد، سِـمَاك بن أحمد بن فايد الجُذَامي الواعظ، سكن إشبلية، توفي سنة: (443هـ).[2]

15- أبو عمرو، عثمان بن سعيد الأموي المقرئ، المعروف بابن الصيرفي أو الداني، من أهل قرطبة، وسكن دانية،[3] سمع من ابن أبي زمنين كثيراً من رواياته وتآليفه، توفي سنة: (444هـ).[4]

وله تلاميذ آخرون، وفي المذكور غنية.

الفرع الخامس_ أهم مؤلفاته

امتاز ابن أبي زمنين بتأليفِ كثيرٍ من المصنفات المميزة، كيف وهو عنده علوم الآلة كالنحو والصـرف واللغة، وتلقَّى سائر العلوم من علماء قرطبة، وكان مؤصلاً فيها، فتميز في الفقه المالكي والتفسير والحديث وكان فيه عَلَماً من أعلام الرواية الواسعة وضبط المتن، كما تضلع في علم الزهد والرقائق، وبهذا استفاد منه معاصروه تدريساً وتأليفاً، وبقيت مصنفاته شاهدة على قوة تأصيله، وغزارة علومه، ولعل أصحاب التراجم أولى بالحديث عن هذا العلم الفذ؛ قال الـحُمَيدي في جذوة المقتبس: "له تآليف متداولة في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين على طريقة كتب ابن أبي الدنيا"،[5] وقال أبو عبد الله الخولاني: "وكان حسن التأليف، مليح التصنيف، مفيد الكتب في كل فن"،[6] وقال أبو عمرو المقريء: "كان ذا حِفظٍ للمسائل، حسن التصنيف للفقه، وله كتب كثيرة، ألفها في الوثائق والزهد، والمواعظ منها شيء كثير، وولع الناس بها، وانتشرت في البلدان، يقرض الشعر ويجود صوغه، وكان

(1) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص: 631، وشجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف: 114/1، برقم: 314.

(2) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص: 504.

(3) دانية "DENIA": مدينة بشرق الأندلس على البحر الأبيض المتوسط، منها كان يخرج الأسطول للجهاد في سبيل الله، ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، ص: 232.

(4) ينظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص: 385، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحُمَيدي، ص: 305، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، ص: 188.

(5) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحُمَيدي، ص: 57.

(6) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 184/7.

كثيراً ما يدخل أشعاره في تواليفه فيحسنها به".[1]

ولعل هذه أهم المؤلفات التي نسبت إليه:

1- "**مختصر تفسير ابن سلّام للقرآن الكريم**"،(2) **وهناك من يسميه**: "**تفسير القرآن العزيز**":

وهو الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عن منهج المؤلف فيه، وأصل هذا التفسير: لأبي زكرياء يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، بصري النشأة، وسكن القيروان، وألف فيها تفسيره، روي عن أصحاب الحسن البصري، والحسن بن دينار، وأدرك من التابعين نحواً من عشرين رجلاً، وسمع منهم، توفي سنة: (200هـ)،[3] غير أن تفسيره مفقود أغلبه، ولم يطبع إلا ما عُثر عليه من الربع الثالث من القرآن الكريم، من سورة الإسراء إلى سورة الصافات.

2- "**أصول السنة**":[4]

وموضوعه: العقيدة الإسلامية الصحيحة، وقد لقي هذا الكتاب القبول، وامتدت إليه أعناق الإقبال، فاعتني العلماء به، واعتمدوه في مؤلفاتهم.[5]

(1) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص: 458.

(2) نسبه إلى ابن أبي زمنين؛ كلٌّ من: القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 158/7، والذهبي في سير أعلام النبلاء: 189/17، والصفدي في الوافي بالوفيات: 260/3، وابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة: 173/3؛ بعنوان: "تفسير القرآن"، وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 233/2، والسيوطي في طبقات المفسرين العشرين؛ ص: 104، والداودي في طبقات المفسرين: 162/2.

(3) ينظر: تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي: 189/2، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: 325/2، برقم: 3848، وقد نص ابن الجزري على أن هذا الكتاب سُمِعَ من مُؤلِّفِه بإفريقية، وشهد بأنه كتاب: "ليس لأحد من المتقدمين مثله".

(4) نسبه إليه: القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 185/7، والذهبي في سير أعلام النبلاء: 189/17، والصفدي في الوافي بالوفيات: 260/3، وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 233/2، والسيوطي في طبقات المفسرين العشرين؛ ص: 104، والداودي في طبقات المفسرين: 162/2، والكتاب مطبوع؛ حققه: عبد الله البخاري، ونشرته مكتبة الغرباء الأثرية، بالمدينة النبوية، السعودية، ونشر سنة: 1415هـ - 1994م، وحققه كذلك: أحمد القفيلي، ونشرته دار الفرقان، بالقاهرة، مصر، ونشر سنة: 1428هـ - 2007م.

(5) منهم على سبيل المثال: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية؛ نقل منه فقال: "وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زمنين -الْإِمَامُ الْمَشْهُورُ مِنْ أَئِمَّةِ الْمَالِكِيَّةِ- فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي -أُصُولِ السُّنَّةِ- ..."، مجموع الفتاوى، لابن تيمية: 54/5.

3- "منتخب الأحكام":[1]

اعتنى المؤلف فيه بتدوين الأحكام المختلفة التي تتعلق بالأقضية، وانتخب منها ما رآه مما تعم به البلوى ويكثر حدوثه، وذكرت بعض المصادر أن سبب تأليف ابن أبي زمنين لهذا الكتاب: من أجل أخيه أبي بكر بن أبي زمنين عندما تولى القضاء في إلبيرة.[2]

4- "المغرب أو الْمُقَرِّب في اختصار المدونة":[3]

يعتبر هذا الكتاب من أحسن شروح المدونة، قال أبو الأصبغ بن سهل: "هو أفضل مختصرات المدونة، وأقربها ألفاظاً"،[4] وقال لسان الدين بن الخطيب: "ألف كتاب المغرب في اختصار المدونة ثلاثين جزءاً، ليس في المختصرات مثله بإجماع"،[5] ويقول ابن فرحون: "ولابن أبي زمنين "المغرب في اختصار المدوّنة"، وشرح مشكلها، والتفقه في نكت منها، مع تحريه للفظها، وضبطه لروايتها، ليس في مختصراتها مثله باتفاق"،[6] ولم نظفر بوجود هذا الكتاب على وجه الحقيقة، سوى بعض الأخبار التي لم نجد فيها ظهوراً ملموساً للكتاب في وقتنا الحاضر، قال ابن السالك (ت: 1398هـ): "ومن تآليفه أيضاً؛ "المغرب - المقرب"؛ لكني لم أره، ولا أظنه موجوداً"،[7] لكن الكتاب قد تناوله العلماء قديماً -كما سبق من كلام أصحاب التراجم-، بل اعتمدوا عليه

(1) نسبة إليه كلٌّ من: القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 185/7، والذهبي في سير أعلام النبلاء: 189/3، والصفدي في الوافي بالوفيات: 260/3، وابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة: 173/3، وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 270، والداودي في طبقات المفسرين: 162/2.

(2) ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، ص: 270، 271.

(3) نسبه إليه كلٌّ من: القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 185/7، وابن خير الإشبيلي في فهرسته، ص: 216، برقم: 473، وابن بشكوال في الصلة في تاريخ أئمة الأندلس؛ ص: 459، وسماه: "الْمُقَرّب"، وورد عند الذهبي في العبر في خبر من غبر: 196/2، وسير أعلام النبلاء: 189/17، والصفدي في الوافي بالوفيات: 260/3؛ بلفظ: "الْمُقَرّب"، وكذا أورده السيوطي في طبقات المفسرين العشرين؛ ص: 104، والداودي في طبقات المفسرين: 165/2، وابن العماد في شذرات الذهب: 156/3.

(4) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: 7/185.

(5) الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب: 173/3.

(6) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، ص: 270.

(7) عون المحتسب فيما يعتمد من كتب المذهب، لابن السالك، ص: 63.

في الكثير من تصانيفهم، فهو من مصادر ابن عاصم (ت: 829هـ) في تحفته حيث قال:

فَـضِمْـنُـهُ الْـمُـفيدُ والـمقرَّبُ
والْـمَقْصَدُ الْمحمودُ والْـمُـنْـتَـخَـبُ[1]

5- قدوة الغازي:

وهو كتاب مطبوع،[2] ألفه ابن أبي زمنين في فضائل الجهاد والغزو، والحث عليهما، لا سيما وأن عصرَه عصرُ الخلافة الإسلامية ببلاد الأندلس، والتي كانت الغزوات والفتوحات فيها شمالاً في أَوْجِهَا.

وبقية مؤلفات ابن أبي زمنين ما تزال في عداد المفقود، وأوردها أصحاب كتب التراجم، ونسبوها إليه، وتتمثل في الآتي:

6- "آداب الإسلام".[3]

7- "المشتمل في علم الوثائق".[4]

8- "أنس المريد في ليله".[5]

9- "حياة القلوب"،[6] في الزهد والرقائق.

(1) تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، لابن عاصم، ص: 17، مقدمة النظم.

(2) وهو بتحقيق: عائشة السليماني، وكانت طبعته الأولى سنة: 1410هـ - 1989م، بدار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

(3) نسبه إليه كلٌّ من: القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 185/7، والذهبي في سير أعلام النبلاء: 189/17، وسماه: "أدب الإسلام"، والصفدي في الوافي بالوفيات: 260/3، وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 233/2، والداودي في طبقات المفسرين؛ 162/2.

(4) نسبه إليه كلٌّ من: القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 185/7، وابن خير الإشبيلي في فهرسته، ص: 216، برقم: 474، وسماه: "المشتمل"، وذكره كلٌّ من: الذهبي في سير أعلام النبلاء: 189/17، والصفدي في الوافي بالوفيات: 260/3، والسيوطي في طبقات المفسرين العشرين؛ ص: 104، بعنوان: "الوثائق"، أما ابن الخطيب؛ فسماه في الإحاطة في أخبار غرناطة: 173/3: "المشتمل في أصول الوثائق"، وأورده ابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 270، والداودي في طبقات المفسرين: 165/2، بعنوان: "المشتمل على أصول الوثائق".

(5) نسبه إليه بهذا العنوان: اليحصبي، القاضي عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 185/7، وابن خير الإشبيلي في فهرسته، ص: ص: 257، برقم: 668 وابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس؛ ص: 459، وسماه ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة: 133/3: "أُنْسُ الفريد"، ولعله تصحيف من الناسخ أو الطابع، وسَمَّوْه "أنس المريدين"؛ كلٌّ من: الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات: 260/3، وابن فرحون، إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 270، والداودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين: 166/2، برقم: 510.

(6) نسبه إليه كلٌّ من: القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 185/7، وابن خير الإشبيلي في فهرسته، ص: 257، برقم: 667، والذهبي في سير أعلام النبلاء: 189/17، والصفدي في الوافي بالوفيات: 260/3، وابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة: 133/3، وابن فرحون في المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 270، والداودي في طبقات المفسرين: 166/2، برقم: 510، والسيوطي في طبقات المفسرين العشرين؛ ص: 104، والبغدادي في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: 424/3.

10- "المذهب في اختصار شرح ابن مزين للموطأ".[1]

11- "منتخب الدعاء".[2]

12- "الواعظ".[3]

13- "النصائح المنظومة"[4] من شعره.

14- "تفسير القرآن".[5]

سابعاً؛ وفاته:

توفي ابن أبي زمنين -رحمه الله- بعد قضاء نحو خمسٍ وسبعين سنة من العطاء العلمي والعملي، بين تأليف وإفتاء، وفقه في الدين، واجتهادٍ في الطاعات، واغتنام للأَوقات، وكانت وفاته -رحمه الله وغفر له- في ربيع الآخر، سنة: تسع وتسعين وثلاثمائة من الهجرة، (399هـ)؛ بمدينة إلبيرة.[6]

(1) نسبه إليه كلٌ من: القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 185/7، وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 270، والداودي في طبقات المفسرين: 166/2، برقم: 510، وابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة: 133/3، وفيه: "المهذب في تفسير الموطأ".

(2) نسبه إليه: القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 185/7، وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 270، والداودي في طبقات المفسرين: 165/2.

(3) نسبه إليه: القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 185/7، وابن خير الإشبيلي في فهرسته، ص:257، برقم: 666، وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 270، وسماه: "المواعظ المنظومة في الزهد"، وكذلك الداودي في طبقات المفسرين: 165/2، وهذا العنوان فيه تصحيف في كلمة المواعظ، وصوابها: "الواعظ"، وفيه أيضاً؛ خلط بين هذا الكتاب وبين الكتاب التالي المسمى: "النصائح المنظومة".

(4) نسبه إليه القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 185/7، والصفدي في الوافي بالوفيات: 260/3، وابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة: 133/3، وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 270.

(5) ذكره: ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة: 173/3, وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 270، والداودي في طبقات المفسرين: 165/2، ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية؛ ص: 101، برقم: 252، والحجوي في الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: 144/2، والزركلي في الأعلام: 227/6، ولعله خطأ مطبعي، أو تصحيف من الناسخ أو وهم؛ لإجماع المصادر على أن ابن أبي زمنين؛ لم يؤلف كتاباً في التفسير؛ وإنما اختصر تفسير يحيى بن سلام، وسماه: تفسير القرآن العزيز، أو: مختصر تفسير يحيى بن سلام.

(6) هذا هو القول المعتمد الذي رواه ابن عتاب وابن الحذاء كما ذكر ابن بشكوال في الصلة في تاريخ أئمة الأندلس؛ ص: 459، والقاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 186/7، والذهبي في سير أعلام النبلاء: 189/17، والعبر: 196/2، وتذكرة الحفاظ: 129/3، وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 270، والسيوطي في طبقات المفسرين العشرين؛ ص: 162/2، وابن العماد في شذرات الذهب: 156/3، وذهب الحُمَيدي في جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص: 57، والصفدي في الوافي بالوفيات: 260/3، إلي أنه توفي سنة أربع مائة، أو قبلها، بينما ذهب أبو عمرو المقرئ - كما ذكر ابن بشكوال، في الصلة في تاريخ أئمة الأندلس؛ ص: 458، وابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة: 174/3؛ إلى أن وفاته كانت: في ربيع الآخر، سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، قال ابن بشكوال: "وقول ابن الحداد في وفاة ابن أبي زمنين؛ أصحُّ لكثرةِ من قال به، وما ذكره أبو عمرو من ذلك؛ وَهْمٌ واللهُ أعْلَمُ"، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص: 459.

المطلب الثاني-منهج ابن أبي زمنين في كتابه (تفسير القرآن العزيز)

إن التأليف في علوم الشـريعة الغرّاء؛ بحرٌ لا ساحل له، ومن البَدَهِيّ؛ أن يعتمد أي مؤلِّف على أناس سبقوه في الولوج إلى العلوم بأنواعها، فينهل من رحيق علومهم، وما سطروه في المسائل التي يهتم بها، ولا شك أن هذا شيء مُسلَّم به، وبخاصة في العلوم الشرعية التي يخدم بعضها بعضاً، ومجملها منقول إلينا بالتواتر، ومن هنا؛ عمد مفسرنا على النقل عمن سلفوه، فاختصر تفسير يحيـى بن سلام، ثم زاده علوماً أخرى يراها محل اهتمام، وبانتشار المذهب المالكي بالأندلس، وكونه المذهب المقدم لدى أمراء بني أمية في دولة الخلافة؛ كان الأثر البالغ في مؤلفات العلامة ابن أبي زمنين، واختياره لهذا الفقه في مؤلفاته جميعها، ولعَلِّي هاهنا أوجز المكانة العلمية لإسهامات ابن أبي زمنين في الفقه المالكي، فقد تمتع أبو عبد الله بمكانةٍ مرموقة بين علماء عصره، حازت السبق والتفوق على أقرانه، فانتشر ذكره، وذاع صيته في الأندلس، وأصبح علماً مفرداً في الجمع والمزج بين الفنون، ومما يُلاحَظ في مختصراته؛ أنها ليست مجرد اختصارات بالمسمى المعروف للاختصار؛ -كالجمود ومحض النقل- وإنما هي اختصارات وإضافات وزيادات؛ تثري هذه الكتب وتجعلها متميزة عن الأصل المختصر منه، ويمكن نعتها بأنها مصنفات مستقلة عن أصل الاختصار، وما تفسير القرآن العزيز المختصر من تفسير ابن سلام؛ إلا من أقوى الشواهد على هذا.

وقد كانت طريقته في التعامل مع المصادر على هذا النحو:

الفرع الأول_ طريقته في التعامل مع المصادر المختلفة:

حدد ابن أبي زمنين منهجه في خطبة الكتاب؛ ولعل من أهم ما ذكره؛ أنه زاد على تفسير يحيـى ما لم يفسـره يحيـى؛ حيث قال: "وزدت فِيهِ من غير كتاب يحيـى تَفْسِير مَا لم يفسره يحيـى، وتبعت ذَلِك إعراباً كثيراً ولغةً؛ على مَا نقل عَن النَّحْوِيين، وَأَصْحَاب اللُّغَة السالكين لمناهج الْفُقَهَاء فِي التَّأْوِيل؛ زَائِداً على

الَّذِي ذكره يحيى من ذَلِك"،[1] فكان من منهجه؛ أنه لا يفسر القرآن كلمة كلمة، أو آية آية؛ بل يقف عندما يراه جديراً بالتفسير والبيان، ومن طريقته في التناول؛ تحديده للنّصِ الذي سيتناوله بدءاً ونهاية، ثم يعود إليه، فيقف عند كلمات منه، ويعرض عند الضرورة لحكاية أوجه الإعراب، وقد ميَّز زياداته بأن بدأها بقوله: "قال محمد"، أما تحديده لتفسير يحيى بن سلام؛ فمذكور كذلك في أوله إمّا: "قال يحيى:"، أو: "يحيى:" ثم يورد قوله.

وأورد لمنهجه هنا بعض الأمثلة بوجه عام:

1- أضاف كثيراً مما لم يذكره يحيى من اللغة والنحو، على ما نقل عن النحويين وأصحاب اللغة السالكين مناهج الفقهاء في التأويل، ومثال ذلك؛ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾؛[2] قال: "قَرَأَهُ أَهْلُ الْحِجَازِ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ ﴿قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا﴾ بِإِثْبَاتِ الْأَلْفِ وَالتَّنْوِينِ؛ ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ قَالَ: وَكَانَ حَمْزَةُ يُسْقِطُ الْأَلَفَ مُنْهُنَّ وَلا يُصْرَفْنَ، وَذَكَرَ الزجَّاج: أَنَّ الِاخْتِيَارَ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ أَنْ تُقْرَأَ بِغَيْرِ صَرْفٍ قَالَ: وَمَنْ قَرَأَهُ قَوَارِيرًا بِصَرْفُ الْأَوَّلِ فَلِأَنَّهُ رَأْسُ آيَةٍ، وَمَنْ صَرَفَ الثَّانِيَ أَتْبَعَ اللَّفْظَ اللَّفْظَ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ رُبَّمَا قَلَبَتْ إِعْرَابَ الشَّيْءِ؛ لِتُتْبِعَ اللَّفْظَةَ اللَّفْظَةَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً وَسَعِيرًا﴾،[3] الْأَجْوَدُ فِي الْعَرَبِيَّةِ: أَلَّا يُصْرَفُ وَلَكِنْ لَمَّا جُعِلَتْ رَأْسَ آيَةٍ صُرِفَتْ لِيَكُونَ آخِرُ الْآيِ عَلَى لفظ وَاحِد".[4]

زاد على اختصار تفسير يحيى بن سلام أشياء أُخر في الإعراب واللغة في تحليل الكلمة وتحديد المراد منها، مع تعزيزه ببعض الشواهد الشعرية؛ كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ

(1) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 111/1، مقدمة المؤلف.

(2) سورة الإنسان، الآيتان: 15- 16.
(3) سورة الإنسان، الآية: 4.
(4) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 72/5.

ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قسوة﴾،[1] قال ابن أبي زمنين: "قَالَ يحيى: يَعْنِي بل أَشد قسوة، قَالَ مُحَمَّد: وَقيل: إِن الْألف زَائِدَة، وَالْمَعْنَى فَهِيَ كالحجارة وَأَشد قسوة وَمثل هَذَا من الشّعْر: [2]

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بَأَنِّيَ فَاجِرٌ
لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا"[3]

3- فسر كثيراً مما لم يفسره يحيى،[4] قال يحيى بن سلام في تفسيره: "قَوْلُهُ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾،[5] عَاصِمُ بْنُ حَكِيمٍ، أَنَّ مُجَاهِدًا قَالَ: لَيْسَ يَنْزِلُ مَلَكٌ إِلا وَمَعَهُ رُوحٌ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿بِالرُّوحِ﴾ يَعْنِي: بِالْوَحْيِ، ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: بِالرَّحْمَةِ وَالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ، يَعْنِي: بِأَمْرِهِ"،[6] قَالَ ابن أبي زمنين: "سُمِّيَ الْوَحْيُ رُوحًا؛ لأَنَّ بِهِ حَيَاةً مِنَ الْجَهْلِ".[7]

4- اعتنى بإيراد القراءات فيما يحتاج إلى ذلك، سواء كانت متواترة أو شاذة، ولا يقصد إلى القراءات بذاتها، بل لبيان استعمالات أوجه الكلمة من ذلك فعلاً، ويتدخل أحياناً لتوجيه استعمال الكلمة في القراءة، ويتدخل أحياناً لبيان استعمال أصل الكلمة، وله براعة كذلك في الاستدلال بالقراءات القرآنية على استنباط الأحكام الفقهية، قال ابن أبي زمنين: "ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ؛ أَنَّ نَافِعًا قَرَأَ: ﴿أَتُحَاجُّونِي﴾ بِتَخْفِيفِ النُّونِ، وَمِثْلُهُ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾ قَالَ: وَقَرَأَهُمَا أَهْلُ الْعِرَاق مثقلتين: (أتحاجوني، وتأمروني)، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَكَذَلِكَ الْقِرَاءَةُ عِنْدَنَا بِتَثْقِيلِهِمَا؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَنْ يَكُونَ بِنُونَيْنِ: نُونُ الْفِعْلِ، وَنُونُ اسْمِ الْفَاعِلِ: فَلَمَّا كُتِبَتَا فِي الْمُصْحَفِ عَلَى نُونٍ وَاحِدَةٍ، لَمْ يَكُنْ إِلَى الزِّيَادَةِ سَبِيلٌ؛ فَثَقَّلُوا النُّونَ؛ لِتَكُونَ الْمَتْرُوكَةُ مُدْغَمَةً. قَالَ: وَإِنَّمَا كَرِهَ التَّثْقِيلَ مَنْ كَرِهَهُ - فِيمَا نَرَى - لِلْجَمْعِ بَيْنَ

(1) سورة البقرة، الآية: 74.
(2) واسمه: توبة الخفاجي، نسبه إليه ابن عساكر في تاريخ دمشق: 65/70، برقم: 9424، ترجمة: ليلى الأخيلية.
(3) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 152/1.
(4) وقد تعمدت الرجوع لتفسير يحيى بن سلام للنظر فيه، ومقارنته بمختصر ابن أبي زمنين، وليس الاعتماد على الاختصار فقط.
(5) سورة النحل، الآية: 2.
(6) تفسير يحيى بن سلام، ليحيى بن سلام: 49/1.
(7) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 395/2.

السَّاكِنَيْنِ؛ وَهِيَ الْوَاوُ وَالنُّونُ الْمُدْغَمَةُ فَحَذَفُوهَا".[1]

مما تقدم؛ ندرك قيمة هذا التفسير؛ فهو ليس مجرد اختصار لتفسير يحيى بن سلام؛ بل أصبح هذا التفسير مسقلاً عن تفسير يحيى بن سلام؛ فخرج عن طور الاختصار إلى التنقيح والزيادة، وذلك لما أضافه من فوائد معتبرة ملأت تفسيره، ومما يزيده تمييزاً؛ كون مؤلفه صاحب سُنَّةٍ، بالإضافة إلى إيجاز جمله، وسهولة عبارته، وابتعاده عن الخلافات واختلاف الأقوال، مع الاستشهاد والاستدلال لما يراه راجحاً في قول واحد، ويميزه كذلك؛ يسر أسلوبه، واحتوائه على جملٍ من الأسرار البلاغية، والإشارات اللغوية، والنحوية، ولطائف التفسير، ونوادر الشعر.

الفرع الثاني_ منهجه في الاستدلال بالأحاديث النبوية

لا شك أن كل مفسر لكتاب الله -تعالى- يفسر القرآن بالقرآن أولاً، فما وُجد في موضعٍ مجملاً؛ قد يكون في موضعٍ آخر مفصلاً، وما وجد في موضع مطلقاً؛ فقد يوجد في موضع مقيداً، وهكذا دواليك، وقد اهتم ابن أبي زمنين بتفسير القرآن بالقرآن في كثير من المواضع، وهذا ديدن كل مفسر يتصدى إلى هذا العلم العظيم، والذي يهمنا هنا؛ استدلاله بالأحاديث النبوية لتفسير كتاب الله -تعالى؛- فإن المتأمل في نصوص السنة التي رواها أو أوردها ابن أبي زمنين لخدمة تفسيره؛ يجدها قد تنوعت تنوعاً كبيراً من حيث الصحة والضعف واتصال السند أو انقطاعه أو تعليقه، وقد سبق أن تفسيره هو اختصارٌ لتفسير يحيى بن سلام (ت: 200هـ) الذي فقد أغلبه، لكنه مع اختصاره لسياق التفسير؛ فإنه أخذ أسانيده من والده إلى يحيى بن سلام، وبهذا يكون هذا التفسير مختصر المعاني من تفسير يحيى بن سلام، مروي الأسانيد بلا حذف، فقد ذكر في مقدمة تفسيره أنه اعتمد على إسنادين -كما سيأتي،-

(1) المصدر السابق: 81/2.

ويمكنني تقسيم هذا المطلب إلى قسمين:

أولاً_ الأسانيد في تفسيره:

عندما نعد سِنِيَّ الفترة الزمنية بين تفسير يحي بن سلام والمختصر منه لابن أبي زمنين نجدها حوالي مائتي سنة، فيحي بن سلام توفي سنة: (200هـ)، وابن أبي زمنين توفي سنة: (399هـ)، أما من ناحية الإسناد، وتلقي ابن أبي زمنين هذا التفسير من والده بسنده إلى يحي بن سلام؛ فيعد من الطبقات العالية، فهي ثلاث طبقات فحسب لا تزيد عن ذلك، ورفعها في الأحاديث الموصولة إلى النبي ﷺ لا يزيد عن ست طبقات أو سبع، وقد قال ابن أبي زمنين-رحمه الله:- "وَجَمِيع مَا نقلته من كتاب يحي؛ أَخْبرنِي بِهِ أبي -رَحمَه الله- عَن أبي الْحسن عَليّ بن الْحسن، عَن أبي دَاوُد أَحْمد بن مُوسَى، عَن يحي بن سَلام، وَمِنْه مَا حَدثنِي بِهِ أبي عَن أبي الْحسن عَن يحي بن مُحَمَّد بن يحي بْن سَلام عَن أَبِيه، عَن جده، وكل مَا أدخلته من طَرِيق يحي بن مُحَمَّد فقد قلت: إِنَّه من طَرِيق -حَدِيث- يحي بن مُحَمَّد"،[1] فإسناد المؤلف إلى يحي بن سلام؛ إسناد معروف، روى به ابن أبي زمنين عدة أحاديث في كتابه: "أصول السنة"،[2] وروى عنه أبو عمرو الداني في كتابه: "السنن الواردة في الفتن".[3]

وبهذا يكون قد روى الأحاديث في تفسيره من طريقين:

أ- ابن أبي زمنين حدث عن والده عَن أبي الْحسن عَليّ بن الْحسن، عَن أبي دَاوُد أَحْمد بن مُوسَى، عَن يحي بن سَلام.

مثال لإسناد وافق فيه رواية الشيخين:

أخرج ابن أبي زمنين في تفسيره عن أبيه عبد الله عن يحي بن سلام عَن مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِهِ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَهُوَ يُوقِدُ تَحْتَ قِدْرٍ لَهُ، فَنَكَسَ رَأْسَهُ فَإِذَا الْهَوَامُّ تَجُولُ فِي

(1) الإلبيري، محمد بن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: 114/1، مقدمة المؤلف.
(2) أحصيتها فوجدتها تزيد عن 40 رواية.
(3) أحصيتها؛ فوجدتها تزيد عن 15 رواية.

رَأْسِهِ، فَقَالَ: أَتُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ يَا كَعْبُ؟ قَالَ: نعم، فَسكت النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (احْلِقْهُ، وَصُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ فَرْقًا بَيْنَ سِتَّةٍ، أَوْ أَهْدِ شَاةً).[1]

وهذا الحديث أخرجه البخاري من طريق حميد بن قيس عن مجاهد به من نفس الطريق، قال البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لَعَلَّكَ آذَاكَ هَوَامُّكَ)، قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (احْلِقْ رَأْسَكَ، وَصُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، أَوْ انْسُكْ بِشَاةٍ).[2]

ب- ابن أبي زمنين حدث عن والده عَن أبي الْحسن عَن يحيي بن مُحَمَّد بن يحيي بْن سَلام عَن أَبِيه، عَن جده، وكل مَا أدخله من طَرِيق يحيي بن مُحَمَّد؛ قال فيه: إِنَّه من طَرِيق - حَدِيث- يحيي بن مُحَمَّد.

ومثال هذا الإسناد: روى ابن أبي زمنين بسنده عن يَحْيَى بن محمد بن يحيي بن سلام، عن أبيه عن جده، عَنْ خدَاشٍ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ سِيَاهٍ، عَنْ أَنَسِ ابْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ؛ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ).[3]

ولهذا الحديث أصل في الصحيحين، فروى الشيخان في صحيحيهما،[4] في الحديث المتفق عليه، واللفظ للبخاري، عَنْ أَبِي

(1) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 208/1.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، 10/3، برقم: 1814، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، بَابُ جَوَازِ حَلْقِ الرَّأْسِ لِلْمُحْرِمِ إِذَا كَانَ بِهِ أَذًى، وَوُجُوبِ الْفِدْيَةِ لِحَلْقِهِ، وَبَيَانِ قَدْرِهَا، 859/2، برقم: 1201.

(3) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 404/3.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، 86/8، برقم: 6408، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، باب: فَضْلِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، 2069/4، برقم: 2689.

هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ)، قَالَ: (فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا)، قَالَ: (فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ)...إلى قوله: (فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ).

وهناك رويات أخرى من هذا الطريق -أعني طريق محمد بن يحي بن سلام- متنوعة ما بين الصحة والضعف، وقد اكتفيت بما وافق رواية الشيخين.

ثانياً_ متن الحديث في تفسيره

قد يكتفي ابن أبي زمنين بذكر المتن وإهمال السند، فيستدل بالحديث مع حذف الإسناد وهذا قليل في تفسيره، ومن أمثلة ذلك؛ تفسيره لقوله تعالى: "﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾،[1] ﴿مِنْ بعد مَا أَصَابَهُم الْقَرْحُ﴾ يَعْنِي: الْجراح؛ وَذَلِكَ يَوْم أُحُد؛ حَيْثُ قَالَ رَسُول الله ﷺ: (رَحِمَ اللَّهُ قوما ينتدبون حَتَّى يعلم الْمُشْرِكُونَ أَنا لم نستأصل، وَأَن فِينَا بَقِيَّة فَانْتدبَ قوم مِمَّن أَصَابَتْهُم الْجراح).[2]

وقد بحثت عن هذا الحديث بلفظه في دواوين السنة؛ فلم أجده، لكن له في معناه ما رواه البخاري في صحيحه، بسنده عَنْ عَائِشَةَ ﵂، ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾،[3] قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ: الزُّبَيْرُ، وَأَبُو بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ المُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: (مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ)، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَالزُّبَيْرُ.[4]

(1) سورة آل عمران، الآية: 172.

(2) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 335/1.
(3) سورة آل عمران، الآية: 172.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، بَابُ (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ)، 102/5، برقم: 4077.

وبهذا يظهر جليا؛ أن ابن أبي زمنين يستدل بالأحاديث النبوية فيما يراه مناسبا في بابه من المعاني، وغالباً ما يهتم بالأسانيد عندما يستشهد بالأحاديث النبوية، وقلّمَا يتركها، أو يعلقها، كما في المثال السابق.

الفرع الثالث_ منهجه في الاختيارات الفقهية

لا غَرْوَ أن الإمام بن أبي زمنين قد اهتم ببعض المسائل الفقهية في تفسيره، وهذا يفرضه واقع تعرضه لآيات الأحكام، والمسائل الأصولية، غير أنه لم يسترسل في ذكر هذه المسائل، على الرغم من علمه الواسع بالفقه المالكي وأصوله، ويشهد لهذا المصنفان العظيمان: منتخب الأحكام والمغرب -أو الْمُقَرّب- في اختصار المدونة، كما لم يكن تعرضه لبعض هذه المسائل المتنوعــة؛ بدرجة كبيرة كغيره من المفسرين، وإنما اقتصر على بعض الأحكام الفقهية لأركان الإسلام، وبعض المسائل لِلْأحوال الشخصية، وبعض المسائل الفقهية في أبواب المعاملات، وبعض جوانب البيوع، ولعلي ألـخص أهم ما جاء من مسائل في تفسيره لآيات أحكام العبادات، وأذكر قبل ذلك مفهوم العبادة عنده وعند غيره:

قال ابن أبي زمنين -رحمه الله:- "معنى الْعِبَادَة فِي اللُّغَة: الطَّاعَة مَعَ الخضوع، وَمن هَذَا يُقَال: طَرِيق مُعَبَّدٌ إِذا كَانَ مذللا بِكَثْرَة الْمَشْي عَلَيْهِ"،[1] والعبادة في الاصطلاح: "هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة".[2] أو هي -كما يقول عبد الرؤوف المناوي: "فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تع ظيماً لربه، وقيل: تعظيم الله وامتثال أوامره".[3]

1- عرضه لبعض أحكام الصلاة:

فسر ابن أبي زمنين كلمة ﴿عَابِدِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾، بأنها نعت للذين يحافظون على الصلوات الخمس،[4] فجعل الذين

(1) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 119/1.
(2) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: 149/10.
(3) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص: 235، فصل الباء.
(4) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 164/3.

يصلون الصلوات الخمس؛ قوماً عابدين، كما تحدث المفسر عن أوقات الصلاة في كثير من الآيات التي تناولت مواقيت الصلاة؛ منها قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾،[1] حيث قال: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ كُلُّهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾: الْمغرب وَالْعشَاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: صَلَاة الْفجْر، ﴿وَعَشِياً﴾: صَلَاة الْعَصْر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: صَلَاةَ الظُّهْرِ، تَقُولُ: أَظْهَرْنَا؛ أَيْ: دَخَلْنَا فِي الظَّهِيرَةِ؛ وَهُوَ وَقْتُ الزَّوَالِ،[2] وفي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾؛[3] قال: يَعْنِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ؛ أَنْ تُقَامَ عَلَى وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها، وَطَرَفَا النَّهَارِ: فِي الطَّرَفِ الأَوَّلِ صَلاةُ الصُّبْحِ، وَفِي الطَّرَفِ الآخَرِ الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ، ﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ يَعْنِي: صَلاةَ الْمَغْرِبِ، وَصَلاةَ الْعِشَاءِ الآخِرِ، وَزُلَفَ اللَّيْلِ: أَدَانِيهِ؛ يَعْنِي: أَوَائِلَهُ، ﴿إِنَّ الْحَسَنَات﴾ يَعْنِي: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ يَعْنِي: مَا دُونَ الْكَبَائِرِ.[4]

نلاحظ مما سبق أن المفسر يكتفي بذكرِ قولٍ واحدٍ في الآية المفسرة، ولو كانت مستساغة لأوجهٍ عديدة، أو حمَّالةُ معانٍ لاختلاف التنوع.

2- عرضه لبعض أحكام الزكاة:

ومن ذلك؛ فضل إخراجها؛ فعندما فسر قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾،[5] قال: "الصدقات؛ الزَّكَاة، ﴿فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تخفوها﴾ يَعْنِي: صَدَقَة التَّطَوُّع، ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، الْقِرَاءَة: ﴿نُكَفِّرْ﴾ بِالْجَزْمِ؛ عَلَى مَوضِع ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ لِأَن الْمَعْنى يكن خيراً لكم، قَالَ يحيى:

(1) سورة الروم، الآية: 17.
(2) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 357/3.
(3) سورة هود، الآية: 114.
(4) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 312/2.
(5) سورة البقرة، الآية: 271.

وسمعتهم يَقُولُونَ: يسْتَحبّ أَن تكون الزَّكَاة عَلَانيَة، وَصدقَة التَّطَوُّع سراً".[1]

3- عرضه لبعض أحكام الصيام:

ذكر ابن أبي زمنين بعض مسائل الأحكام التي تختص بالصيام، فعندما فسر قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾،[2] قال: "الرَّفَث: الغِشْيَانُ، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾؛ أَي: سكن لكم، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنكُمْ كُنْتُم تختانون أَنفسكُم﴾، قَالَ قَتَادَة: كَانَ الْمُسلمُونَ فِي أول مَا فرض عَلَيْهِم الصّيام؛ إِذا رقدوا لم يحل لَهُم النِّسَاء، وَلا الطَّعَام، وَلا الشَّرَاب بعد رقادهم؛ فَكَانَ قوم يصيبون من ذَلِك بعد رقادهم، فَكَانَت تِلْكَ خِيَانَة الْقَوْم أنفسهم، فَتَابَ عَلَيْهِم بعد ذَلِكَ، وَأحل ذَلِكَ إِلَى طُلُوع الْفجْر".[3]

ومما يدل على تمكنه من استنباط الأحكام الفقهية؛ أنه لم يكتف في بعض الأحيان بذكر الحكم الشرعي المستنبَط فقط؛ بل يورد ما يراه راجحاً من الأحكام الشرعية في المسألة، كتفسيره لقوله تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، قال: "يَعْنِي؛ الْوَلَد يَطْلُبهُ الرجل؛ فَإِن كَانَ مِمَّن كتب الله لَهُ الْوَلَد، رزقه إِيَّاه، وَهَذَا أَمر نَدْبٍ لَا فرض، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيط الْأسود من الْفجْر﴾ يَعْنِي: سَواد اللَّيْل، وَتبين هَذَا من هَذَا، قَالَ يحيى: الْفجْر فجران: فَأَما الَّذِي كَأَنَّهُ ذَنَبُ السِّرْحَانِ؛[4] فَإِنَّهُ لَا يحل شَيْئا وَلا

(1) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 261/1.
(2) سورة البقرة، الآية: 187.
(3) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 202/1.
(4) السِّرْحَان: الذئب، ويُسمي الفجر الأول؛ أو الفجر الكاذب: ذنَب السِّرحان لاستطالته، ينظر: لسان العرب لابن منظور: 45/5، (مادة: فجر).

يحرمه، وَأما المستطيل الَّذِي يَأْخُذ بالأفق فَإِنَّهُ يُحِل الصَّلاة، وَقَوله: ﴿الْخَيط الْأَبْيَضُ﴾ يَعْنِي: بَيَاض النَّهَار ﴿مِنَ الْخَيْطِ الْأسود﴾ يَعْنِي: سَواد اللَّيْل؛ ويتبين هَذَا من هَذَا؛ عِنْد طُلُوع الْفجْر الثَّانِي".[1]

4- عرضه لبعض أحكام الحج:

ينقل ابن أبي زمنين بعض الأقوال حول فرضية الحج ، والخلافات الفقهية حول حكم العمرة، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، [2] "قَالَ يحيى: الْعَامَّةُ عَلَى أَنَّ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَرِيضَتَانِ".[3]

ونقل ابن أبي زمنين روايتين في ذلك؛ الأولى على أن العمرة فريضة والثانية : تطوع ، ولكنني لا أجده يرجح بين الروايتين ، وهو من أعلام المالكية المشهورين ، ومن المعلوم أن الحنفية[4] والمالكية[5] قالوا: العمرة سنة مؤكدة في العمر مرة، وليست فرضاً، واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية،[6] أما الشافعية [7] والحنابلة [8] فيرون فرضيتها على كل مسلم عاقل بالغ حر، واختار هذا القول البخاري.[9]

ثمبين المفسر ما يباح للحاج فعله ضمن تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ، حيث قال : "يَعْنِي التِّجَارَة فِي

(1) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 202/1، 203.
(2) سورة البقرة، الآية: 196.
(3) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 206/1.
(4) ينظر: النتف في الفتاوى، للسُّغْدي: 201/1، كتاب المناسك.
(5) ينظر: التلقين في الفقة المالكي، لعبد الوهاب بن نصر، ص: 80، كتاب المناسك.
(6) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: 7/26، "وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْعُمْرَةَ لَيْسَتْ وَاجِبَةً وَأَنَّ مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَعْتَمِرْ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ سَوَاءٌ تَرَكَ الْعُمْرَةَ عَامِدًا أَوْ نَاسِيًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ إنَّمَا فَرَضَ فِي كِتَابِهِ حَجَّ الْبَيْتِ بِقَوْلِهِ: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) وَلَفْظُ الْحَجِّ فِي الْقُرْآنِ لَا يَتَنَاوَلُ الْعُمْرَةَ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ إذَا أَرَادَ الْعُمْرَةَ ذَكَرَهَا مَعَ الْحَجِّ كَقَوْلِهِ: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) وَقَوْلِهِ: (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) فَلَمَّا أَمَرَ بِالْإِتْمَامِ أَمَرَ بِإِتْمَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ سَنَةَ سِتٍّ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ، وَآيَةُ آلِ عِمْرَانَ نَزَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ سَنَةَ تِسْعٍ أَوْ عَشْرٍ، وَفِيهَا فَرْضُ الْحَجِّ".
(7) الأم، للإمام الشافعي: 144/2، بَابٌ: هَلْ تَجِبُ الْعُمْرَةُ وُجُوبَ الْحَجِّ، كتاب الحج.
(8) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، للمروزي: 2074/5، برقم: 1366.
(9) حيث قال في صحيحه -عندما بوَّب للعمرة في كتاب الحج:- "بَابُ وُجُوبِ الْعُمْرَةِ وَفَضْلِهَا"، صحيح البخاري: 2/3، برقم: 1772.

الْحَج"،[1] كما بين الإمام أشهر الحج في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾؛[2] فقال: "هِيَ: شَوَّال، وَذُو الْقعدَة، وَعَشْرُ ذِي الْحَجَّة"،[3] وبَيَّنَ حالات الحجاج عند استجابتهم لنداء ربهم إلى حج البيت، فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾،[4] "أَيْ: مُشَاةً ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أَيْ: وَرُكْبَانًا عَلَى ضُمُرٍ مِنْ طُولِ السَّفَرِ، ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فج عميق﴾ بعيد".[5]

ويتبين من خلال استقراء تفسير ابن أبي زمنين أن منهجه في عرض المسائل الفقية يتلخص في الآتي:

- لا يذكر المصادر المعتمدة لديه في النقل سوى الاستئناس بذكر الناقل عنه من الأئمة، كنقله عن شيخ والده: يحيى بن سلام، ونقوله عن الحسن البصري، وابن مجاهد، أقوالهم المختلفة، ولا يتحرى الثقات في روايته، فقد يروي عن الثقات، وأحياناً يتعداهم بالرواية عن الضعفاء كأبي صالح باذام، أو المتهمين بالوضع كالكلبي والسُّدي الصغير، وفي بعض الأحيان يختم عرض المسألة بقوله: وهذا مذهب يحيى.

- عندما يفسر بعض آيات الأحكام التي فيها آراء فقهية متباينة؛ لا يختار إلا قولاً واحداً يراه راجحاً.

- يقتصر على المهم في توضيح آيات الأحكام، وغالباً ما يذكر أنه اختصرت ذَلِكَ؛ لأن لَهُ مَوْضِعه من كتب الْفِقْه.[6]

- يُحْجِمُ عن ذكر بعض المسائل المهمة، كما فعل عندما فسر آيات المواريث، حيث ذكر أنه اختصر كثيراً مِنْهَا؛ إِذْ للفرائض بأسرها موَاضعهَا من كتب الْفِقْه،[7] وكذلك فعل عندما فسر آية الخُمس.[8]

الفرع الرابع_ منهجه في عرض المسائل اللغوية

لا يشك المطلعُ على تفسير ابن أبي زمنين؛ في احتوائه المسائلَ اللغوية؛ بل لا تكاد تجد آية تخلو من هذه الفوائد

(1) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 210/1.
(2) سورة البقرة، من الآية: 197.
(3) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 209/1.
(4) سورة الحج، الآية: 27.
(5) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 177/3.
(6) ومثال ذلك: عندما ذكر صلاة الخوف في الجهاد، ينظر: تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 402/1.
(7) ينظر: تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 426/1.
(8) المصدر نفسه: 178/2.

اللغوية التي يسردها المؤلف كُلَّمَا افتَتَحَ تفسيرَ الآيات بعد اختصاره لتفسير يحيى بن سلام، ونقله للمأثور في معنى الآية، فقد كان يذكر المعنى اللغوي للكلمة وما تحمله من معانٍ بلاغية، التي قد تكون مختلفة من ناحية الروايات فيُرجح منها بشواهد استخدام اللغة العربية القُحَّةِ، وقد كان من منهج ابن أبي زمنين في عرض المسائل اللغوية أنه يختصر ما يراه في المسألة ولا يسرد أوجه الاختلاف فيها إلا في بعض المسائل الإعرابية، مع اهتمامه ببيان المفردات، ومعنى الحروف، أو الاستدلال بكلام العرب، أو بيان الإضمار، أو إيضاح تقدير التقديم والتأخير للمعاني، أو شرحه لتعدد معاني الاستفهام، وكان ينقل آراء النحويين البصريين، وأحيانا الكوفيين، ولقد أكثر من الشواهد الشعرية؛ لأغراض مختلفة، ومقاصد متعددة، -وسيأتي بيان منهجه في الاستشهاد بالشعر بداية النقطة القادمة.-

ولقد أفاض ابن أبي زمنين وتوسع في تفسير القرآن ببيان اللغة؛ حتى غدت هذه السمة طابعاً مميزاً لتفسيره، ولعله نهج هذا السبيل إيماناً منه بأن إعراب القرآن الكريم وكشف معانيه والعلم بألفاظه والوقوف على هيئته والصيغ والتراكيب مع فصاحته وبيانه العظيم؛ مع تتبع فهم السلف لهذا البيان العظيم؛ كل ذلك إنما يكون أصلاً عظيماً، وقواعد جليلة تفتح الأفهام وتنير السبيل للأذهان؛ لفهم مراد الله حسب الاجتهاد المأجور صاحبه على الحالين، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، -وذلك من فضل العزيز المقتدر،- ولعل ابن أبي زمنين قد أخذ في الاعتبار قول الأئمة في أهمية معرفة اللغة وإتقانها وأنها من أدوات المفسر للعمل على التفسير، ففاقد اللغة العربية وأصولها؛ فاقد لدعامة أساسية لا يصح التفسير ولا يقوم إلا بها، وقد نبه العلماء على أهمية ذلك كثيراً، من ذلك قول مجاهد بن جبر: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"،[1] كما كان تفسيره هذا مليئاً بالمسائل النَّحْوِية، ولو جُمع ما ذكره من

(1) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: 292/1، النَّوْعُ الثَّامِنَ عَشَرَ: مَعْرِفَةُ غَرِيبِهِ.

مسائل في وجوه اللغة والإعراب؛ لاستُخرج مؤَلَّفٌ كبير يضاف إلى أَسْفَارِ[1] إعراب القرآن الكريم، والجدير بالذكر أن مذهب الإمام ابن أبي زمنين النحوي هو مذهب أهل البصرة، ولم يصرح بذلك في تفسيره، وإنما علِمْتُه من واقع الاستقراء، فمعظم المسائل النَّحْوِية التي يتميز البصريون باستخدام مصطلحاتها؛ استخدمها ابن أبي زمنين في تفسيره، ولعل أخذه التفسير عن يحي بن سلام البصري، الذي كان شيخاً لوالده عبد الله بن أبي زمنين؛ كان من أحد هذه الأسباب التي جعلته بصري المذهب في اللغة، لأن يحيى بن سلام تتلمذ عند علماء البصرة ومشايخها ونحاتها ولغوييها ومفسريها.[2]

وكذلك من تلك الأسباب: شيوع المذهب البصري في الأندلس في القرن الرابع الهجري،[3] فضلاً عن بعض نقولاته آراء أئمة المدرسة البصرية ؛ مثل: الخليل (ت: 174هـ) وسيبويه (ت: 180هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: 210هـ)، وتلميذه أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ) -وقد جمع بين المدرستين- والزّجّاج (ت: 311هـ)، ولكن نجده أحياناً ينقل بعضاً من آراء علماء مدرسة الكوفة ؛ كالكسائي (ت: 189هـ)، وقطرب (ت: 206هـ) ، وابن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، وهذا يدل على سعة اطلاعه وتبحره في اللغة، وهنا أذكر بعض الأمثلة التي تثبت انتماءه للمدرسة البصرية واستخدامه لمصطلحاتها :

- استخدامه لمصطلح: "الصلة على الزيادة"، وذلك في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾،[4] حيث قال: "يَعْنِي: أَيِّكُمُ الضُّلّال؛ فِي تَفْسِيرِ الْحسن بِجعْل الْبَاء صلَة"،[5] وأهل الكوفة يسمونها:

(1) الأَسْفَارُ: جَمْعُ سِفْرٍ، وهو الْكِتَابُ، وَقِيلَ: هُوَ الْكِتَابُ الْكَبِيرُ، ينظر: لسان العرب، لابن منظور: 370/4، (مادة: سفر).

(2) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: 373/2، برقم: 3848.

(3) ولا نعني بذلك؛ انفراد هذا المذهب النحوي بالأندلس، فالمذهب الكوفي كان له أتباع كثرٌ آنذاك، وينظر: المدارس النحوية، لأحمد شوقي ضيف، ص: 290.

(4) سورة القلم، الآية: 6.

(5) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 19/5.

"زائدة"،[1] ولا يوجد في القرآن حرف زائد إذا قصدنا بالزائد؛ ما لا فائدة فيه، فحروف القرآن في جميع مواضعها لها فوائد، أما إذا قصدنا بالحرف الزائد: ما لو إذا حذفناه؛ استقام المعنى، فهذا موجود في كثير من المواضع، لكن وجود هذا الحرف في موضعه أفصح وأسلم للكلمة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾،[2] قال محمد بن عثيمين: "ولهذا هنا قاعدة مفيدة: جميع الحروف الزائدة يقصد بها التوكيد، وهي من أدوات التوكيد".[3]

- استخدامه لمصطلح: "جواب القسم"، وهو مصطلح شائع عند اللغويين البصريين،[4] قال ابن أبي زمنين: "﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، [5] هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾،[6] في حين يطلق عليه الكوفيون: "جواب الأَيْـمان، أو جواب اليمين".[7]

- استخدامه لمصطلح "البدل"، في مواضع كثيرة، منها في قوله تَعَالَى: "﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾؛[8] ﴿قِتَالٍ﴾: مخفوض عَلى الْبَدَل من الشَّهْر الْحَرَام، الْمَعْنى: ويسألونك عَنْ قتالٍ فِي الشَّهْر الْحَرَام"،[9] في حين يستخدم الكوفيون مصطلح: "التكرير".[10]

- استخدامه لمصطلح: "منصوب على التمييز"، وقد ذكره في مواضع منها: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾،[11] قَالَ: "﴿أَمَدَاً﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ؛ الْمَعْنَى: لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِلُبْثِهِمْ فِي الأمد"،[12] في حين

(1) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين: 401/10.
(2) سورة فصلت، الآية: 46.
(3) تفسير ابن عثيمن -سورتي الحجرات والحديد-، لمحمد بن صالح العثيمين، ص: 222.
(4) قال المبرد -وهو من علماء مذهب البصريين المبرِّزين-: "وَإِنَّمَا وَقع الْقسم على قَوْله (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لشَدِيدٌ)، وَقد قَالَ قوم إِنَّمَا وَقع على: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) وحذفت اللَّام لطول الْكَلَام وَلَيْسَ القَوْل عندنَا إِلَّا الأول لِأَن هَذِه الاعتراضات توكيد"، المقتضب، للمبرد: 336/2، بَاب مَا يقسم عَلَيْهِ من الْأَفْعَال.
(5) سورة البروج، الآية: 12.
(6)تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 115/5.
(7) ينظر: معاني القرآن، للفراء: 67/1، 328/1، 498/1.
(8) سورة البقرة، الآية: 217.
(9) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 217/1.
(10) قال الفرّاء في معاني القرآن: 140/2: "(قتالٍ فيهِ)؛ يريد: عَن قتال فيهِ بالتكرير".
(11) سورة الكهف، الآية: 12.
(12) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 49/3.

يستخدم الكوفيون مصطلح: "التفسير أو المفسِّر" للتمييز.[1]

مما سبق يبدو جلياً أن ابن أبي زمنين كان على مذهب البصريين في توجيه اللغة، وقد تعرض في تفسيره للكثير من المسائل اللغوية؛ كبيانه لمعاني الكلمات وإعراب الآيات، مفصلاً بعض الأحيان في وجوه الإعراب، وتوجيه القراءات بالإعراب، وبيان معاني الآيات بالتنوع الإعرابي، والاشتقاق اللغوي، ومعاني الحروف، والاهتمام بمفردات لغات العرب، وعِلم الفِعَال،[2] وبيان معاني الكلمات لاستنباط الأحكام الفقهية، كما نقل عن بعض علماء العربية المشهورين، ولعلي هنا أسرد بعض الأمثلة مما ذكره من الاستشهاد بقواعد اللغة العربية للبيان وليس للحصر:[3]

- بيانه لوجوه الإعراب: قال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾،[4] قال ابن أبي زمنين: "قَوْله تَعَالَى: ﴿وَالْمُوفُونَ﴾؛ يجوز أَن يكون مَرْفُوعاً، على معنى: وهم الموفون، والنعت إِذا طَال جَازَ أَن يرفع بعضه، وَينصب بعضه فِي مَذَاهِب النَّحْوِيين".[5]
- إعراب الآيات لبيان معانيها: قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾،[6] قَالَ ابن أبي زمنين: "﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ بِالرَّفْع؛ هُوَ عَلَى معنى: فَإِن وَقع ذُو عسرة".[7]

(1) قال الفرّاء: "(أمَداً) الأمد يكون نصبه عَلى جهتين؛ إن شئت جعلته خرج من (أحْصَى) مفسِّرًا، كما تَقُولُ: أيّ الحزبين أصوب قولًا، وإن شئت أوقعت عَلَيْهِ اللُّبَاث: للباثهم أمدًا"، معاني القرآن، للفراء: 136/2.

(2) عرفه ابن أبي زمنين بقوله: "مَعْنَى عِلْمُ الفِعَال: الْعِلْمُ الَّذِي تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْجَزَاءُ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الصَّادِقَ وَالْكَاذِبَ قَبْلَ خَلْقِهِمَا"، تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 340/3، وهذا الاصطلاح قليل الاستعمال، ويرادفه مصطلح: "قيام الحجة"؛ والحُجَّة لغة: الدليل والبرهان، وقيل: ما دفع به الخصم، ينظر: لسان العرب، لابن منظور: 228/2، (مادة: حجج)، واصطلاحاً؛ هي: "ما دل على صحة الدعوى"، وقيل: الحجة والدليل واحد، ينظر: التعريفات، للجرجاني، ص: 82، باب الحاء، ولا تقوم الحجة إلا بشيئين: "أ:- بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، ب:- والقدرة على العمل به؛ فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه: كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين، أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلاً"، مجموع الفتاوى، لابن تيمية: 59/20، بيان قوله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا).

(3) هناك كثير من الدراسات المختلفة التي تناولت شخصية ابن أبي زمنين ومؤلفاته بالتمحيص والتحليل، ينظر مثلاً: كتاب قدوة الغازي لابن أبي زمنين: ص: 47-95، بتحقيق: عائشة السليماني، ففيه مقدمة متقنة ومفصلة بشيء من التوسع.

(4) سورة البقرة، الآية: 177.

(5) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 197/1.

(6) سورة البقرة، الآية: 280.

(7) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 266/1.

- إعرابه للآيات لتوجيه بعض القراءات: قال تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾،[1] يَعْنِي: الصَّدَقَة، ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾، قال ابن أبي زمنين: "قَوْله: ﴿الْعَفْوَ﴾ من قَرَأَهَا بِالنّصب فعلى معنى: قل: أَنْفقُوا الْعَفو، وَمن قَرَأَهَا بِالرَّفْع فعلى معنى: الَّذِي يُنْفقُونَ الْعَفو، وَالْعَفو فِي اللُّغَة: الْفضل وَالْكَثْرَة؛ يُقَال: قد عَفا الْقَوْم؛ إِذا كَثُرُوا".[2]
- توجيه معاني الكلمات ببيان لغات العرب: قال تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾،[3] قال ابن أبي زمنين: "تَفْسِيرُ قَتَادَةَ: الشَّفْعُ: الْخَلْقُ، وَالْوَتْرُ: اللَّهُ - تَعَالَى، وَمِنْ كَلامِهِمْ: شَفَعَ زَيْدٌ خَالِدًا، أَيْ: كَانَ وَاحِدًا فَصَيَّرَهُ اثْنَيْنِ وَلُغَةُ تَمِيمٍ: الْوِتْرُ بِكَسْرِ الْوَاوِ، وَأَهْلِ الْحِجَازِ بِالْفَتْحِ، وَأَمَّا الْوِتْرُ مِنَ الترة فبالكسر يُقَال: وَتَرَهُ يَتِرُهُ تِرَةً، وَهُوَ الظُّلْمُ".[4]
- الاهتمام بالاشتقاقات اللغوية لبيان المعاني: قال تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾،[5] ﴿وَمَا يَبُثُّ﴾ يخلق، قَالَ ابن أبي زمنين: "﴿يَبُثُّ﴾ فِيهِ لُغَتَانِ تَقول: بَثَثْتُكَ مَا فِي نَفسِي، وأَبْثَثْتُكَ أَي: بسطته لَك".[6]
- بيان معاني الكلمات لاستنباط الأحكام الفقهية: كبيانه لمعنى القرء في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾،[7] قال ابن أبي زمنين: "القروء: وَاحِدهَا قرءٌ؛ يُقَال: أَقرَأت الْمَرْأَة وقرأت؛ إِذا حَاضَت، أَو طهرت؛ وَإِنَّمَا جعل الْحيض قرءاً، وَالطُّهْر قرءاً؛ لِأَن أصل الْقُرْء فِي كَلَام الْعَرَب: الوَقْت؛ يُقَال: رَجَعَ فلَان لقرئه؛ أَي: لوقته الَّذِي كَانَ يرجع فِيهِ؛ فالحيض يَأْتِي لوقت، وَالطُّهْر يَأْتِي لوقت وَالله أعلم بِمَا أَرَادَ".[8]

الفرع الخامس_ منهجه في الاستشهاد بالشواهد الشعرية

كان ابن أبي زمنين يكثر من التدليل بالشعر لتوضيح المعاني في أكثر

(1) سورة البقرة، الآية: 219.
(2) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 220/1.
(3) سورة الفجر، الآية: 3.
(4) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 126/5.
(5) سورة الجاثية، الآية: 4.
(6) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 209/4.
(7) سورة البقرة، الآية: 228.
(8) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 229/1.

من موضوع؛ فتارة يستشهد بالشعر لتأكيد صحة قراءة، وأخرى لتوضيح معنى كلمة في آية ، أو لترجيح رأي نحوي ، وقد احتوى التفسير على كثير من الشعر المنوع، فاستشهد بالشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام - وهو شعر المخضرمين ،- والشعراء المتقدمون في العصر الإسلامي، وكان من منهجه في سرد الأشعار؛ أنه تارة ينسب القول إلى قائله، وتارة لا ينسبه ، وغالباً ما يذكر بيتاً واحداً، وقليل جداً ما يذكر بيتين، ونادراً ما يستشهد بشطر فقط، وقد أحصيت ما استشهد به ابن أبي زمنين من أشعار في تفسيره فوجدته قد أورد واحداً وثمانين بيتاً، نسب تسعةً وثلاثين بيتاً منها لأصحابها، وأغفل الباقي؛ بقوله قبل الاستشهاد بها: "كما قال الشاعر"، أو "وأنشد بعضهم"، أو "ومثل هذا من الشعر"، أو "قال بعض الشعراء" أو "ومن هذا قول القائل"، وما إلى ذلك من العبارات التي تدل على إبهام القائل، وقد حصرت الشعراء الذين استشهد بشعرهم ابن أبي زمنين؛ فكان عددهم عشرين شاعر وواحد، وهم:

امْرُؤُ الْقَيْسِ (ت: 80ق.ه)، وطَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ (ت: من 60 - 86ق.ه) والمُتَلَمِّسُ، جَرِيرُ بنُ عَبْدِ الْعُزَّى (ت: 50ق.ه)، وحَاتِمٌ الطَّائِيُّ (ت: 46ق.ه)، وعَدِيُّ بْنُ الرِّقَاعِ (ت: 35ق.ه)، والنَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ (ت: 18ق.ه)، وزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى (ت: 13ق.ه)، والْأَعْشَى، مَيْمُونُ بنُ قَيْسٍ (ت: 7ه)، ودُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ (ت: 8ه)، والنَّمِرُ بْنُ تَوْلَبٍ (ت: 14ه)، والشَّمَّاخُ الذُّبْيَانِيُّ (ت: 22ه)، والْخَنْسَاءُ، تُمَاضِرُ بِنْتُ عَمْرٍو السُّلَمِيَّةِ (ت: 24ه)، وأَبُو ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِيُّ (ت: 27ه)، ولَبِيَدُ بْنُ رَبِيعَةَ (ت: 41ه)، والرَّاعِي، عُبَيْدٌ بنُ حُصَيْنٍ (ت: 90ه)، وكُثَيِّرُ عَزَّةَ (ت: 105ه)، والْفَرَزْدَقُ، هَمَّامُ بنُ غَالِبٍ (ت: 110ه)، وذُو الرُّمَّةِ، غَيْلَانُ بنُ عُقْبَةَ (ت: 117ه)، ورُؤْبَةُ بنُ العَجَّاجِ (ت: 145ه)، وقُطْرُبٌ، مُحَمَّدُ بنُ الْمُسْتَنِيرِ (ت: 206ه)، وأَبُو عُبَيْدَةُ، مَعْمَرُ

بنُ الْمُثَنَّى (ت: 210هـ)، ونستعرض فيما يأتي بعض الأمثلة لاستشهاده بالأشعار:

- وأغلب استشهاده بالشعر لبيان معاني الكلمات: كما في قوله -تعالى:- ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾،[1] قال ابن أبي زمنين: "وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ مِنَ: الْمَجِيءِ؛ يُقَالُ: جَاءَتْ بِي الْحَاجَةُ إِلَيْكَ، وَأَجَاءَتْنِي الْحَاجَةُ إِلَيْكَ؛ قَالَ زُهَيْرٌ:

وَجَارٍ سَارَ مُعْتَمِدًا عَلَيْكُمْ
أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ

وَالْمَخَاضُ: دُنُوُّ الْوِلَادَةِ، يُقَالُ: مَخَضَتِ الْمَرْأَةُ ومَخِضَتْ".[2]

- وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾،[3] قال ابن أبي زمنين: "قَالَ الْحسن وَغَيره: حَبل الله: الْقُرْآن، قَالَ مُحَمَّد: وأصل الْحَبل فِي اللُّغَة: الْعَهْد، قَالَ الْأَعْشَى:

فَإِذَا تُجَوَّزُهَا حِبَالَ قَبِيلَةٍ
أَخَذَتْ مِنَ الْأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا

يَعْنِي: عهودها".[4]

- وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾،[5] قَالَ ابن أبي زمنين: "أَيْ فِي سِتْرٍ، لِيَكُنْ ذَلِكَ عَلانِيَةً، (غُمَّةٌ) مُشْتَقَّةٌ مِنَ: الْغَمَامَةِ الَّتِي تَسْتُرُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: " غُمَّ الْهِلالُ " وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: غُمَّةً؛ أَيْ: غَمًّا؛ يُقَالُ غمٌّ وغمةٌ.

قَالَتِ الْخَنْسَاءُ:

وَذِي كُربةٍ رَاخَى ابْنُ عمروٍ خِنَاقَهُ
وَغُمَّتُهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتِ

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أَيْ: اجْهَدُوا جُهْدَكُمْ ﴿وَلا تُنْظِرُونِ﴾ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ أَيْ: أَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ".[6]

ويمكن القول أن ابن أبي زمنين لم يهتم بذكر الروايات المختلفة للأشعار، فلم يذكر إلا رواية واحدة في كل ما استشهد به من أبيات شعرية، ولا مندوحة له عن هذا؛ لأنه ذكر في بداية تفسيره أن منهجه الاختصار، مع عدم

(1) سورة مريم، الآية: 23.
(2) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 92/3.
(3) سورة آل عمران، الآية: 103.
(4) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 307/1.
(5) سورة يونس، الآية: 71.
(6) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين: 268/2.

التعرض للأقوال المختلفة، بل الاقتصار على المعنى الذي قلّ ودلّ.

الخاتمة

الحمد لله على التوفيق والتمام، والصلاة والسلام على سيد الأنام وعلى آله وصحبه الكرام، أما بعد؛ فأخيراً نستنتج من هذا البحث؛ أن منهج ابن أبي زمنين في تفسيره مبني على اختصار تفسير يحيى بن سلام، وقد أجاد المؤلف في اخياراته أيما إجادة، ورجح من أقوال التفسير ما رآه محل الصواب، وكان سائراً على المذهب المالكي في بيان آيات الأحكام، موافقاً لعلماء المذهب في كل مسألة يتعرض لها، وما اختصاره للمدونة في كتابه "المغرِّب" أو "المقرِّب"؛ إلا وينبئُنا عن ذلك، أما من ناحية استشهاده بالأحاديث النبوية؛ فقد روى جل أحاديثه بطرق موصولة عن والده إلى يحيى بن سلام، وهذا يدل على القوة العلمية للتفسير، وصنعته الحديثية - كما عند أهل الرواية،- ودلالة ذلك؛ أنه اعتمد على التفسير بالمأثور، فهو لم يأخذ التفسير وجادة؛ بل رواه بسنده عن والده، وبَيَّنَ كَلَّ ما انفرد به من الأقوال بذكره جملة: "قال محمد"؛ وذلك قبيل سرده لأي زيادات على الاختصار، ولا شك أن هذه أمانة علمية دقيقة، قلما أن تجد لها نظيراً، وفي رأي الباحِث: إن أهم ما اختلف به هذا التفسير عن غيره من التفاسير؛ امتيازة بالفوائد اللغوية على وجه الخصوص، فلا نكاد نجد مسألة لُغوية إلا ويتعرض لها بما جادت به قريحته اللغوية السديدة، وقد يسهب في بعضها بما يراه محل إسهاب، وكان سلفه في هذه الآراء: مدرسة البصريين، ونستطيع القول: بأن هذا التفسير من التفاسير التي تلحق بما فُسر بالمأثور مع إضافاتٍ للفوائد اللغوية والشعرية وبعض الآراء الفقهية، غير أن كل ذلك كان على سبيل الاختصار، فهو بلاشك تفسير يصلح للقارئ الذي أراد فهم المعنى دون استطراد في المسائل المختلف فيها، وهو الغرض الأساسي الذي قام عليه منهج المؤلف في الاختصار.

ومن خلال العرض السابق لهذا البحث؛ يمكن تلخيص أهم العناصر التي بُنيت عليها شخصية ابن أبي زمنين، وأهم ما ميز منهجيته في تفسيره:

1- ألف ابن أبي زمنين (324هـ- 399هـ) تفسيره في القرن الرابع الهجري، وهو زمن ليس بالبعيد عن القرون المفضلة التي شهد رسول الله ﷺ لها بالخيرية، فقد روى تفسيره من طريق والده عن يحيى بن سلام (124هـ- 200)؛ الذي أدرك أكثر من عشرين تابعياً وروى عنهم.

2- ألف ابن أبي زمنين تفسيره في عصر التطور العلمي للأندلس؛ وعاصر المؤلف زمن عهد الخلافة الأموية؛ من سنة: (316هـ- 400هـ)، فهو التأْريخُ الذهبيُّ لبلاد الأندلس، حيث الاستقرار السياسي، والنهضة العلمية، والإعمار، والثقافة المتنوعة.

3- من مخاض هذه الثقافة التي انتشرت؛ تلقى ابن أبي زمنين مرويات الكثير من علماء الأندلس، وقد حصرت شيوخه الذين روى عنهم؛ فتجاوزوا 12 شيخاً.

4- طلب العلم على يدي ابن أبي زمنين أكثر من 30 تلميذاً، وكان أشهرهم الحافظ المقرئ؛ أبا عمروٍ الداني (ت: 444هـ)ـ.

5- وصلنا من مؤلفات ابن أبي زمنين 4 مؤلفات مطبوعة ومحققة، وهي: تفسير القرآن العزيز، ومنتخب الأحكام، وقدوة الغازي، وأصول السُّنة.

6- المفقود من مؤلفات ابن أبي زمنين 9 كتب ذكرها أصحاب التراجِم وهي: "الـمُقرِّب أو المغرب في اختصار المدونة"، و"آداب الإسلام"، و"المشتمل في علم الوثائق"، و"أنس المريد في ليله"، و"حياة القلوب"، و"المذهب في شرح ابن مزين للموطأ"، و"منتخب الدعاء"، و"الواعظ"، و"النصائح المنظومة"، من شعره.

7- على الرغم من ميزة التفسير؛ فإنه مليء بالإسرائيليات التي لم ينكرها ابن أبي

زمنين أو يذكر أنها إسرائيليّات؛ بل أخذها عن يحيى بن سلام.

8- اعتمد ابن أبي زمنين على رواية ورش عن شيخه نافع في إيراد الآيات، وهي القراءة المنتشرة والمشتهرة عند أهل الأندلس.

9- يروي ابن أبي زمنين معظم الأحاديث عن والده عن يحيى بن سلام، ونادراً ما يورد الأحاديث مُعَلَّقة من غير إسناد.

10- يفسر ابن أبي زمنين الآيات باختصار شديد، والغالب ما يضيف على تفسيره المسائل اللغوية المتنوعة.

11- اعتماده على المذهب المالكي في إيراده للأحكام الفقهية في تفسير بعض الآيات، وهو مذهبه الفقهي خاصة ومذهب الأندلس عامة.

12- إن المذهب المالكي كان له أثر بالغ في الحركة الثقافية بالأندلس، فكان يدرس في كل ناحية وقطر من أقطارها، ما أدى لانشاره فَأَسْهَمَ في نشاط كثير من العلوم الأخرى، ولقد كان ابن أبي زمنين من أكبر رواد هذا المذهب.

13- توجيهه نصائح للقراء عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، مع بيان الحكم الشرعي.

14- استشهاده بالشعر بما يناسب المقام، ونظمه للشعر أحياناً.

15- ابن أبي زمنين لم يذكر فيه علماء الجرح والتعديل جرحاً ولا تعديلاً؛ ولكنني بعد دراسة تراجمه والاطلاع على جُلّ مصنفاته؛ بالإضافة إلى الثناء عليه ممن عاصره من العلماء؛ وشهدوا له بغزارة علمه وسلامة منهجه؛ يظهر أنه كان من الثقات الأثبات، وأن روايته تحمّلها الثقات من بعده كأبي عمروٍ الداني، وأحمد بن عفيف، وأحمد بن محمد الحذّاء، وغيرهم.

16- ابن أبي زمنين لا يذكر شيئاً في الغالب؛ إلا ويعزوه لصاحبه، وما اجتهد فيه من نفسه فيقول: "قال محمد."

17- جلُّ الأحاديث التي رواها ابن أبي زمنين مسندة عن يحيى بن سلام قد تُوبع عليها، وأغلبها لها أصل في الكتب الستة.

18- أكثر المؤلف من المراسيل التي رواها عن يحيى الذي بدوره أسندها إلى قائلها.

19- اشتمل تفسير ابن أبي زمنين على كثير من القراءات القرآنية المتواترة والشاذة، والمؤلف لم يفصّل الشاذ من المتواتر، فكان يعزو القراءة لصاحبها، وأحيانا يبنيها للمجهول.

إن الملاحظ على منهج ابن أبي زمنين في تفسيره عموماً؛ أنه لا يذكر المصادر التي يعتمد عليها في إضافاته التي يعقبها بقوله: "قال محمد"، فعند تتبعي لأقواله في تفسيره؛ لم أجد أي مصدر يعزو إليه بعض نقولاته، فهو يكتفي باختصار ما يذكره يحيى بن سلام من التفسير ثم يضيف بعض الفوائد اللغوية والبلاغية أو الشعرية، وإن كان لا يغفل ذكر بعض أصحاب الأقوال التي ينقلها، أو الأشعار التي يستشهد بها كنقله عن الخليل بن أحمد وابن مجاهد، وأبو عبيد، وإسماعيل بن إسحاق، بعض الفوائد التي يعقبها بعد قول يحيى بن سلام، وكان هذا دأبه في مجال رواية الحديث أيضاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر والمراجع

1- أصول السنة، لابن أبي زمنين، محمد الإلبيري، تحقيق: أحمد القفيلي، دار الفرقان، بالقاهرة، مصر، ط1، 1428هـ- 2007م، وتحقيق: عبد الله البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، السعودية، ط1، 1415هـ- 1994م.

2- الأعلام، للزركلي، خير الدين بن محمود، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 1422هـ- 2002م.

3- أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، لابن عاشور، محمد الفاضل، مكتبة النجاح، تونس، (د.ط)، 1380هـ- 1960م.

4- الأم، للشافعي، محمد بن إدريس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1410هـ- 1990م.

5- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، للبغدادي، إسماعيل بن محمد، تحقيق: محمد بالتقايا، رفعت الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1366هـ- 1947م.

6- البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، بدر الدين محمد، دار الكتبي، القاهرة، مصر، ط1، 1414هـ- 1994م.

7- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، بدر الدين محمد، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، القاهرة، مصر، ط1، 1376هـ - 1957م.

8- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبّـي، أحمد بن يحيـى، دار الكاتب العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1387هـ- 1967م.

9- تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، لابن عاصم، محمد بن محمد، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1432هـ- 2011م.

10- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق: نظر الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، السعودية، ط2، 1415هـ- 1994م.

11- تذكرة الحفاظ، للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (ت: 748هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م.

12- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض بن موسى، (ت: 544هـ)، تحقيق: مجموعة باحثين، دار فضالة، المحمدية، المغرب، ط1، 1385هـ- 1965م.

13- التعريفات، للجرجاني، علي بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ- 1983م.

14- تفسير ابن عثيمين -سورتي الحجرات والحديد-، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، الرياض، ط1، 1425هـ- 2004م.

15- تقريب التهذيب، لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، سوريا، ط1، 1406هـ- 1986م.

16- التلقين في الفقة المالكي، لابن نصر، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد أبي خبزة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ- 2004م.

17- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، النمري، يوسف بن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي, محمد البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، ط1، 1387هـ- 1968م.

18- تهذيب التهذيب، لأحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ - 1908م.

19- تهذيب الكمال، للْمِزِّيِّ، يوسف بن الزكي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، ط1، 1400هـ - 1980م.

20- التوقيف على مهمات التعاريف، للـمُنَاوِي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1410هـ - 1990.

21- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحُمَيْدِي، محمد بن فتوح، الدار المصرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1386هـ - 1966م.

22- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين، أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1414هـ - 1993م.

23- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، إبراهيم بن علي، (ت: 799هـ)، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ - 1996م.

24- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ت).

25- سنن الترمذي، للترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط2، 1395 هـ - 1975م.

26- سير أعلام النبلاء، للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (ت: 748هـ)، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ - 1985م، وتحقيق: مجموعة محققين، بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1405هـ - 1985م.

27- شجرة النور الزكية، لمخلوف، لمحمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1349هـ - 1930م.

28- شذرات الذهب، لابن العماد، عبد الحي بن أحمد، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، وبيروت، لبنان، ط1 1406هـ - 1986م.

29- شرح التبصرة والتذكرة، ألفية العراقي، للعراقي، عبد الرحيم بن الحسين، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، ماهر الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ - 2002م.

30- صحيح البخاري وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى

الله عليه وسلم وسننه وأيامه، للبخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ - 2001م.

31- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

32- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، (ت: 578هـ)، تحقيق: السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1374هـ - 1955م.

33- الضعفاء وأجوبة أبي زرعة الرازي على سؤالات البَرْذَعِيُّ، للرازي، عبيد الله أبو زرعة، تحقيق: سعدي الهاشمي، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، السعودية، ط1، 1402هـ - 1982م.

34- طبقات المفسرين العشرين، للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق: علي عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1396هـ - 1976م.

35- طبقات المفسرين، للداودي، محمد بن علي، (ت: 945هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.

36- عون المحتسب فيما يعتمد من كتب المذهب، لابن السالك، محمد بن عبد الرحمن، وهو شرح لمنظومة محمد فال الأربعيني، في ذكر الكتب المعتمدة في المذهب المالكي، تحقيق: محمد الأمين بن محمد فال، أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ - 2010م.

37- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد. تحقيق: ج، برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ - 2006م.

38- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للحجوي، محمد بن الحسن الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ - 1995م.

39- قدوة الغازي، لابن أبي زمنين، محمد الإلبيري، تحقيق: عائشة السليماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1410هـ - 1989م.

40- الكفاية في علم الرواية، للبغدادي، أبو بكر الخطيب، تحقيق: أبو عبد الله السورقي. إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة النبوية، السعودية، ط1، 1400هـ - 1980م.

41- لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ- 1994م.

42- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ط1، 1416هـ- 1995م.

43- المدارس النحوية، لشوقي ضيف، أحمد شوقي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، 1396هـ- 1976م.

44- مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، للمروزي، إسحاق بن منصور، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، السعودية، ط1، 1425هـ- 2002م.

45- معاني القرآن، للفرّاء، يحيى بن زياد، تحقيق: أحمد النجاتي، محمد النجار، عبد الفتاح الشلبي، الدار المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1374هـ- 1955م.

46- معرفة علوم الحديث، للحاكم، محمد بن عبد الله، تحقيق: السيد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1397هـ- 1977م.

47- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ- 1985م.

48- المقتضب، للمبرد، محمد بن يزيد، تحقيق: محمد عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، ط3، 1415هـ- 1994م.

49- الـمُوَطّأ، لمالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 1425هـ- 2004م. 9+

50- النتف في الفتاوى، للسُّغْدي، علي بن الحسين، تحقيق: صلاح الدين الناهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1404هـ- 1984م.

51- الوافي بالوفيات، للصفدي، صلاح الدين خليل، (ت: 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط2، 1420هـ- 2000م.

52- ومضات فكر، لابن عاشور، محمد الفاضل، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ط)، 1402هـ- 1982م.